﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) ﴾

شرح الكلمات :

قال فما خطبكم أيها المرسلون : أي ما شأنكم أيها المرسلون.

إلى قوم مجرمين : أي إلى قوم كافرين فاعلين لأكبر الجرائم وهي إتيان الفاحشة.

حجارة من طين : أي مطبوخ بالنار.

مُسَوَّمَةً : أي معلمة على كل حجر اسم من يرمى به.

للمسرفين : أي المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران.

غير بيت من المسلمين : وهو بيت لوط وَابْنَتَيْهِ ومن معهم من المؤمنين.

وتركنا فيها آية : أي بعد إهلاكهم تركنا فيها علامة على إهلاكهم وهى ماء أسود مُنتن.

للذين يخافون العذاب الأليم : أي عذاب الآخرة فلا يفعلون فعلهم الشنيع.

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة إنه لاحظ بعد أن عرف أنهم سادات الملائكة أن مهمتهم لم تكن مقصورة على بشارته فقط بل هي أعظم فلذا سألهم قائلا: فما[1] خطبكم أيها المرسلون؟ فأجابوه قائلين: إنا أرسلنا أي أرسلنا ربُّنا عز وجل إلى قوم مجرمين[2] أي

---

(١) الفاء: هي الفاء الفصيحة إذ أفصحت أي: دلت على كلام محذوف تقديره: لما كنتم مرسلين من قِبل الله تعالى فما خطبكم أي ما شأنكم وما مهمتكم العظيمة التي جئتم لها؟.

(٢) هم أهل سدوم وعمورية.

على أنفسهم بالكفر ،وفعل الفاحشة ، والعِلَّة من إرسالنا إليهم هي لنرسل عليهم حجارة من طين[1] مطبوخ بالنار، وتلك الحجارة مسومة أي معلمة عند ربك للمسرفين أي قد كتب على كل حجر اسم من يرمى به، وذلك في السماء قبل أن تنزل إلى الأرض. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا﴾ أي من تلك القرية وهي سدوم من كان فيها من المؤمنين[2] فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهو بيت لوط عليه السلام وما به سوى لوط وابنتيه ومن الجائز أن يكون معهم بعض المؤمنين إذ قيل كانوا ثلاثة عشر نسمة وقوله تعالى: ﴿وتركنا فيها[3] آية﴾ أي علامة على إهلاكهم وهي ماء أسود منتن كالبحيرة وتعرف الآن بالبحر الميت. وقوله ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ وهم المؤمنون الذين يخافون عذاب الآخرة حتى لا يفعلوا فعل قوم لوط من الكفر وإيتان الفاحشة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ جواز تشكل الملائكة بصورة رجال من البشر.

٢ـ التنديد بالإجرام وفاعليه.

٣ـ جواز الإهلاك بالعذاب الخاص الذى لم يعرف له نظير.

٤ـ تقرير حقيقة علمية وهي أن كل مؤمن صادق الإيمان مُسلم، وليس كل مسلم مؤمنا حتى يحسن اسلامه بانبنائه على أركان الإيمان الستة.[4]

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ

---

(١) (من طين) فيه احتراسٌ من أن تكون من البَرَد الذي ينزل مع المطر من السماء، وجائز أن تكون من بركان قذفته الأرض فارتفع بقوة الضغط فسقط عليهم فدمَّرهم بأمر الله تعالى وتدبيره فيهم.

(٢) قوله: (من المؤمنين): إشارة إلى أنّ سبب نجاتهم هو إيمانهم وفي قوله: (من المسلمين) كذلك أي: سبب النجاة الإسلام كما هو التنويه بشأن كل من الإيمان والإسلام إذ الدعوة النبوية تدور عليهما.

(٣) الضمير: (فيها) عائد إلى القرية التي أصبحت خربة تدل على قدرة الله تعالى ونقمته من أعدائه.

(٤) هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. كما في آية البقرة، (ليس البر) وفي حديث جبريل عند مسلم.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون : أي فكذبه وكفر، فأغرقناه ومن معه آية كآية سدوم.

بسلطان مبين : أي بحجة ظاهرة قوية وهي اليد والعصا.

فتولى بركنه : أي أعرض عن الإيمان مع رجال قومه.

وقال ساحر أو مجنون : أي وقال فرعون فى شأن موسى ساحر أو مجنون.

فنبذناهم فى اليم : أي طرحناهم في البحر فغرقوا أجمعين.

وهو مليم : أي آتٍ بما يُلام عليه إذ هو الذى عرض جيشاً كاملاً للهلاك زيادة على ادعائه الربوبية وتكذيبه لموسى وهرون وهما رسولان.

وفي عاد : أي وفي إهلاك عاد آية أي علامة على قدرتنا وتدبيرنا.

الريح العقيم : أي التى لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهى الدبور، لقول الرسول ﷺ نصرت بالصبا وهى الريح الشرقية وأهلكت عاد بالدبور وهى الريح الغربية في الحجاز.

ما تذر من شيء أتت عليه : من نفس أو مال.

إلا جعلته كالرميم : أي البالى المتفتت.

وفي ثمود : أي وفي إهلاك ثمود آية دالة على قدرة الله وكرهه تعالى للكفر والإجرام.

إذ قيل لهم : أي بعد عقر الناقة تمتعوا إلى انقضاء آجالكم بعد ثلاثة أيام.

فأخذتهم الصاعقة : أي بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

فما استطاعوا من قيام : أي ما قدروا على النهوض عند نزول العذب بهم.

وقوم نوح من قبل : أي وفي إهلاك قوم نوح بالطوفان آية وأعظم آية.

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿وفي موسى﴾[1] الآية إنه تعالى لما ذكر إهلاك قوم لوط وجعل في ذلك آية دالةً على قدرته وعلامةً تدل العاقل على نقمه تعالى ممن كفر به وعصاه ذكر هنا في هذه الآيات التسع من هذا السياق أربع آيات أخرى، يهتدي بها أهل الإيمان الذين يخافون يوم الحساب فقال عز من قائل: وفي موسى بن عمران نبي بني إسرائيل إذ أرسلناه إلى فرعون ملك القبط بمصر ﴿بسلطان مبين﴾ أي بحجة قوية ظاهرة قوة السلطان وظهوره وهي العصا[2] فلم يستجب لدعوة الحق فتولى بركنه أي بجنده[3] الذي يركن إليه ويعتمد عليه، وقال في موسى رسول الله إليه: هو ساحر أو مجنون[4] فانتقمنا منه بعد الإصرار على الكفر والظلم فنبذناهم أي طرحناهم في اليم البحر فهلكوا بالغرق. في هذا الصنيع الذي صنعناه بفرعون لما كذب آيةً من أظهر الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وفي عاد﴾[5] حيث أرسلنا إليهم أخاهم هوداً فدعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه فكذبوه ﴿إذأرسلناعليهم الريح العقيم﴾التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً[6] ماتذر من شيء أتت عليه أي مرت به من أنفس أو أموال الا جعلته كالرميم[7] البالي المتفتت في هذه الإهلاك آية من أعظم الآيات الدالة على قدرة الله الموجبة لربوبيته وعبادته والمستلزمة لقدرته تعالى على البعث والجزاء يوم القيامة.

وقـوله تعالى ﴿وفي ثمود﴾[8] إذ أرسلنا إليهم أخاهم صالحاً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك الشرك فكذبوه وطالبوه بآية تدل على صدقه فأعطاهم الله الناقة آية فعقروها استخفافاً منهم وتكذيباً ﴿إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ أي إلى إنقضاء الأجل الذي حدد لهلاكهم. فبدل أن يؤمنوا ويسلموا

---

(١) (وفي موسى) أي: وتركنا أيضاً في قصة موسى آية، والعطف على قوله: (وفي الأرض آيات للموقنين).

(٢)/ وجائز ان يكون غير العصا من الآيات التسع.

(٣) وجائز أن يكون بقوته كما قال عنترة:

فما أوهى مراس الحرب ركني ولكن ما تقادم من زماني

أراد بركنه: قوته، وركن الشيء: جانبه الأقوى.

(٤) (أو) بمعنى الواو أي: قال مرّة في موسى ساحر وقال مرة أخرى مجنون وشاهده قول الشاعر:

أثعلبة الفوارس أو رياحاً عدلت بهم طهيَّةَ والخشابا

أي: ورياحاً فأو بمعنى الواو العاطفة لا غير وطهية كسمّيَة: حي من تميم والخشاب: بطون من تميم أيضاً.

(٥) (وفي عاد) أي: وتركنا في عاد آية كالتي في موسى.

(٦) ولا خير فيها ولا بركة ولا منفعـة البتة مأخوذة من: امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد، وهي الدبور لقول الرسول ﷺ في الصحيح (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور).

(٧) (الرميم) الشيء الهالك البالي. قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر:

تركتني حين كف الدهر من بصري وإذ بقيت كعظم الرّمة البالي

مأخوذ من رمّ العظم: إذا بلي يقال: رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم.

(٨) (وفي ثمود) أي: وتركنا في ثمود آية للموقنين دالة على قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته.

فيعبدوا الله ويوحدوه عتوا عن أمر ربهم وترفعوا متكبرين ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ صاعقة العذاب وهم ينظرون بأعينهم الموت يتخطفهم ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ من مجالسهم وهم جاثمون على الركب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ فى إهلاك ثمود أصحاب الحجر آية للذين يخافون العذاب الأليم فلا يفعلوا فعلهم حتى لا يهلكوا هلاكهم.

وقوله تعالى: ﴿وقوم نوح[1] من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي وفي إرسالنا نوحاً إلى قومه وتكذيبهم إياه وإصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب ثم إهلاكنا لهم بالطوفان وانجائنا المؤمنين آية من أعظم الآيات الدالة على وجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته للعالمين، والمستلزمة لقدرته على البعث والجزاء الذي يصر الملاحدة على إنكاره ليواصلوا فسقهم وفجورهم بلا تأنيب ضمير ولا حياء ولا خوف أو وجل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير كل من التوحيد والنبوة والبعث لما في الآيات من دلائل على ذلك.

٢- قوة الله تعالى فوق كل قوة إذ كل قوة في الأرض هو الذي خلقها ووهبها.

٣- اتهام المبطلين لأهل الحق دفعاً للحق وعدم قبول له يكاد يكون سنة بشرية في كل زمان ومكان.

٤- من عوامل الهلاك العتو عن أمر الله أي عدم الإذعان لقبوله، والفسق عن طاعته وطاعة رسله.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

---

(١) قرأ حمزة والكسائي (وقوم) بالكسر أي: وفي قوم نوح آية، وقرأ الجمهور بالنصب أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود ومدين.

شرح الكلمات :

والسماء بنيناها بأيدٍ : أي وبنينا السماء بقوة ظاهرة في رفع السماء وإحكام البناء.

وإنا لموسعون : أي لقادرون على البناء والتوسعة.

والأرض فرشناها : أي مهّدناها فجعلناها كالمهاد أي الفراش الذي يوضع على المهد.

فنعم الماهدون : أي نحن أثنى الله تعالى على نفسه بفعله الخيريّ الحسن الكبير.

ومن كل شيء خلقنا زوجين : أي وخلقنا من كل شيء صنفين أي ذكراً وأنثى، خيراً وشراً، علوّاً وسفلاً.

لعلكم تذكرون : أي تذكرون أن خالق الأزواج كلها هو إله فرد فلا يعبد معه غيره.

ففروا إلى الله : أي إلى التوبة بطاعته وعدم معصيته.

إني لكم منه نذير مبين : أي إني وأنا رسول الله إليكممنه تعالى نذير مبين بين النذارة أي أخوفكم عذابه.

ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبدوا مع الله إلهاً أي معبوداً آخر إذ لا معبود بحق إلا هو.

إني لكم منه نذير مبين : إني لكم منه تعالى نذير بين النذارة أُخوفكم عذابه إن عبدتم معه غيره.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة له تعالى الربوبية لكل شيء والألوهية على كل عباده. فقال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾[1] فهذا أكبر مظهر من مظاهر القدرة الإلهية إنه بناء السماء وإحكام ذلك البناء وارتفاعه وما تعلق به من كواكب ونجوم وشمس وقمر تمَّ هذا الخلق بقوة الله التى لا توازيها قوة. وقوله ﴿وإنا لموسعون﴾ أي لقادرون على توسعته أكثر مما هو عليه، وذلك لسعة قدرتنا.

---

(١) هذا عرض آخر لمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الدالة على قدرته على البعث الآخر (والسماء): منصوب على الاشتغال، والأيد جمع يدٍ وكثر إطلاقه على القوة نحو: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أي: القوة، والموسع: القادر على توسعة ما يريد توسعته من رزق وغيره.

ومظهر ثانٍ هو في قوله: ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾[1] والأرض فرشها بساطاً ومهدها مهاداً فنعم الماهدون نحن نعم الماهد الله تعالى لها إذ غيره لا يقدر على ذلك ولا يتأتى له، وثالث مظاهر القدرة في قوله: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[2] فهذا لفظ عام يعم سائر المخلوقات وأنها كلها أزواج وليس فيها فرد قط. والذوات كالصفات فالسماء يقابلها الأرض، والحر يقابله البرد، والذكر يقابله الأنثى، والبر يقابله البحر، والخير يقابله الشر، والمعروف يقابله المنكر، فهي أزواج بمعنى أصناف كما أن سائر الحيوانات هي أزواج من ذكر وأنثى. وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي خلقنا من كل شيء زوجين رجاء أن تذكروا فتعلموا أن خالق هذه الأزواج هو الله الفرد الصمد الواحد الأحد لا إله غيره ولا رب سواه فتعبدوه وحده ولاتشركوا به سواه من سائر خلقه.

وقوله تعالى ﴿ففروا إلى الله[3] إني لكم منه نذير مبين﴾ أي بعد أن تبين لكم أيها الناس أنه لا إله غير الله ففروا إليه تعالى أي بالإيمان به وبطاعته وبفعل فرائضه وترك نواهيه اهربوا إلى الله يا عباد الله بالإسلام إليه والانقياد لطاعته إني لكم منه تعالى نذير من عقابٍ شديد، ونذارتي بينة لا شك فيها وأنصح لكم أن لا تجعلوا مع الله إلهاً آخر أي معبوداً غيره تعالى تعبدونه إن الشرك به يحبط أعمالكم ويحرم عليكم الجنة فلا تدخلوها أبداً واعلموا أني لكم منه عز وجل نذير مبين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير التوحيد والبعث بمظاهر القدرة الإلهية التى لا يعجزها شيء ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كل شيء.

٢ـ ظاهرة الزوجية في الكون في الذرة انبهر لها العقل الإنساني وهي مما سبق إليه القرآن الكريم وقرره في غير موضع منه: سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن

---

(١) نصب الأرض على الاشتغال، والفرش: البسط يقال: فرش البساط: إذا نشره وقوله: (فنعم الماهدون) أثنى تعالى على نفسه بهذه المنة على خلقه وهي: بسط الأرض وتمهيدها للحياة عليها وفي هذا تعليم للعباد أن يحمدوا الله ويشكروه: فله الحمد تعالى وله المنة.

(٢) في خلق الله تعالى للذكر والأنثى والتناسل منهما دليل ظاهر على البعث الذي ينكره الكافرون فمن فكر في إيجاد الحياة من جماد كالنطفة سهل عليه الإيمان بالحياة الثانية بعد انتهاء هذه ولذا عقّب على ذلك بجملة (لعلكم تذكرون) وهي جملة تعليلية.

(٣) الفاء للتفريع إنه بعد أن بيّن للمشركين ضلالهم وخطأهم في الشرك والكفر وإنكار البعث بما ساق من الأدلة وأبرز عن البراهين القطعية قال لرسوله: قل لهم أيها الناس ففروا إلى الله أي: اهربوا إليه لينجيكم من الخسران فإنه ليس لكم إلا هو فآمنوا به واعبدوه ووحدوه وعلل ذلك بقوله لهم (إني لكم منه نذير مبين).

أنفسهم ومما لا يعلمون. فدل هذا قطعاً أن القرآن وحي الله وأن من أوحى به إليه وهو محمد بن عبدالله لن يكون إلا رسول الله ﷺ.

٣- التحذير من الشرك فإنه ذنب عظيم لا يغفر إلا بالتوبة الصحيحة النصوح.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

شرح الكلمات:

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول : أي الأمر كذلك ما أتى الذين من قبل قومك يا محمد من رسول.

إلا قالوا ساحر أو مجنون : أي هو ساحر أو مجنون.

أتوا صوابه بل هم قوم طاغون : أي اتواصت الأمم كل أمة توصى التي بعدها بقولهم للرسول هو ساحر أو مجنون، والجواب، لا أي لم يتواصوا بل هم قوم طاغون يجمعهم على قولهم هذا الطغيان.

فتول عنهم فما أنت بملوم : أي اعرض عنهم يا رسولنا فما أنت بملوم لأنك بلغتهم فأبرأت ذمتك.

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين : أي عظ بالقرآن يا رسولنا فإن الذكرى بمعنى التذكير ينفع المؤمنين أي من علم الله أنه يؤمن.

وما خلقت الجن الإنس : أي خلقتهم لأجل أن يعبدوني فمن عبدني أكرمته ومن ترك عبادتي أهنته.

ما أريد منهم من رزق : أي لا لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم.
وما أريد أن يطعمون : أي لا أريد منهم ما يريد أربابُ العبيد من عبيدهم هذا يجمع المال وهذا يعد الطعام، فالله هو الذي يرزقهم.
ذو القوة المتين : أي صاحب القوة المتين الشديد الذي لا يعجزه شيء.
ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم : أي نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين ماتوا على الكفر.
فلا يستعجلون : أي فلا يطالبوني بالعذاب فإن له موعداً لا يُخْلَفونه.
من يومهم الذي يوعدون : أي يوم القيامة.

معنى الآيات :

بعد عرض تلك الأدلة المقررة للتوحيد والبعث والمستلزمة للرسالة المحمدية والمشركون ما زالوا في إصرارهم على الكفر والتكذيب قال تعالى مسلياً رسوله مخففاً عنه ما يجده من إعراض وتكذيب: ﴿كذلك﴾ أي الأمر والشأن كذلك وهو أنه ما أتى الذين من قبلهم أي من قبل قومك من رسول الا قالوا فيه هو ساحر[1] أو مجنون كما قال قومك لك اليوم. ثم قال تعالى: ﴿اتواصوا[2] به﴾ أي بهذا القول كل أمة توصى التي بعدها بأن تقول لرسولها: ساحر أو مجنون. بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا به وإنما جمعهم على هذا القول الطغيان الذي هو وصف عام لهم فإن الطاغي من شأنه ان ينكر ويكذب ويتهم بأبعد أنواع التهم والحامل له على ذلك طغيانه. وما دام الأمر هكذا فتول عنهم يا رسولنا أي أعرض عنهم ولا تلتفت إلى أقوالهم وأعمالهم فما أنت بملوم في هذا القول لأنك قد بلغت رسالتك وأديت أمانتك ولا يمنعك هذا التولى عنهم أن تذكر أي عِظْ بالقرآن بل عظ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين الذين علم الله تعالى أنهم يؤمنون ممن هم غير مؤمنين الآن كما تنفع المؤمنين حالياً بزيادة إيمانهم وصبرهم على طاعة الله ربهم.

وقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون[3]﴾ أي لم يخلقهما للهو ولا للعب ولا

(١) أو: بمعنى الواو إذ هم مرّة يقولون ساحر ومرّة يقولون مجنون وليس معنى ساحر أو مجنون أن يكون إما ساحراً أو مجنوناً فتكون أو لأحد الشيئين.

(٢) الاستفهام للتعجب، و(بل) للاضراب الإبطالي، اي لم يتواصوا بهذا القول الفاسد، وإنما جمعهم الطغيان فقالوا ما قالوا ولم يتخلف قوم منهم في ذلك.

(٣) قوله: (وما خلقت...) الخ فيه تعريض بالمشركين والكافرين التاركين لعبادته تعالى، والإنس• واحده إنسي، والاستثناء مفرّغ من علل لم تذكر، والإرادة هنا؛ هي الإرادة الشرعية التكليفية ليست الإرادة الكونية التي لا تتخلف، ولذا فلا معنى لمن قال: المراد بالناس هنا المؤمنون فقط، أو هو على تقدير لآمرهم وأنهاهم أو أنّ المراد من العبادة: ظهور قدرة الله تعالى فيهم من الخلق والإحياء والإماتة.

لشيء وإنهما خلقهما ليعبدوه بالإذعان له والتسليم لأمره ونهيه. وقوله تعالى ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ أي إن شأني معهم ليس كشأن السادة مالكي العبيد الذين يتعبدونهم بالقيام بحاجاتهم. هذا يجمع المال وهذا يُعِدّ الطعام بل خلقتهم ليعبدوني أي يوحدوني في عبادتي، إذ عبادتهم لي مع عبادة غيري لا أقبلها منهم ولا أثيبهم عليها بل أعذبهم على الطاعة حيث عبدوا من لا يستحق أن يعبد من سائر المخلوقات.

وقوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾[1] قرر به غناه عن خلقه، وأعلم أنه ليس فى حاجة الى أحدٍ وذلك لغناه المطلق، وقدرته التى لا يعجزها فى الأرض ولا فى السماء شيء.

وقوله فإن للذين ظلموا[2] ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي إذا عرفت حال من تقدم من قوم عاد وثمود وغيرهم فإن لهؤلاء المشركين ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي نصيباً من العذاب وعبر بالذنوب التي هي الدلو الملأى بالماء عن العذاب لأن العذاب يصب عليهم كما يصب الماء من الدلو ولأن الدلاء تأتى واحداً بعد واحد فكذلك. الهلاك يتم لأمة بعد أمة حتى يسقوا كلهم مرّ العذاب، وقوله ﴿ولا يستعجلون﴾ أي ما هناك حاجة بهم الى استعجال العذاب فإنه آت في إبّانه ووقته المحدد له لا محالة. وقوله تعالى ﴿فويل للذين كفروا﴾ أي بالله ولقائه والنبي وما جاء به ويل لهم من يومهم الذي يوعدون أي العذاب الشديد لهم من يومهم الذي أوعدهم الله تعالى به وهو يوم القيامة والويل وادٍ في جهنم يسيل بصديد أهل النار والعياذ بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة بشرية وهي التكذيب والاتهام بالباطل وقلب الحقائق لكل من جاءهم يدعوهم إلى خلاف مألوفيهم وما اعتادوه من باطلٍ وشرٍ فيدفعون بالقول فإذا أعياهم ذلك دفعوا بالفعل وهى الحرب والقتال.

٢- بيان أن طغيان النفس يتولد عنه كل شر والعياذ بالله.

٣- مشروعية التذكير، وانه ينتفع به مَنْ أراد الله إيمانه ممن لم يؤمن، ويزداد به إيمان المؤمنين الحاليين.

٤- بيان علة خلق الإنس والجن وهي عبادة الله وحده.

---

(١) الجملة تعليلية لما سبقها من قوله: (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) و(الرزاق): كثير الإرزاق و(ذو القوة): صاحبها ومن خصائص (ذو) أنها لا تضاف إلا إلى أمر مهم، (والمتين): الكامل في قوته الذي لا يُعارض ولا يُدانى.

(٢) في قوله تعالى (ذنوباً) إشارة إلى ما حصل لصناديد قريش إذ بعد قتلهم ألقوا في قليب ببدر فكان ذلك مصداق قوله (فإن للذين كفروا ذنوبا) وهي الدلو الملأى فعجباً لهذا القرآن العظيم.

٥ـ بيان غنى الله تعالى عن خلقه، وعدم احتياجه اليهم بحال من الأحوال.

٦ـ توعد الرب تبارك وتعالى الكافرين وأن نصيبهم من العذاب نازل بهم لا محالة.

سُورَةُ الطُّورِ

مكيـــة

وآياتها تسع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

والطـور : أي والجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام.

وكتاب مسطور : أي وقرآن مكتوب.

في رق منشور : أي في جلد رقيق أو ورق منشور.

والبيت المعمور : أي بالملائكة يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون ابداً

والسقف المرفوع : أي السماء التي هي كالسقف المرفوع للأرض.

والبحر المسجور : أي المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض.

يوم تمور السماء موراً	: أي تتحـرك وتدور.
في خوض يلعبون	: أي في باطل يلعبون اي يتشاغلون بكفرهم.
يدعون الى نار جهنم دعا	: أي يدفعون بعنف دفعاً
افسحـر هذا	: أي العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في القرآن.
أم أنتم لا تبصرون	: أي أم عدمتم الأبصار فأنتم لا تبصرون.
اصلوهـــا	: أي اصطلوا بحرها.
فاصبروا أو لا تصبروا	: أي صبركم وعدمه عليكم سواء.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والطور[١] وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور﴾ هذه خمسة أشياء عظام أقسم الله تعالى بها، وبالتتبع لما يقسم الله تعالى به يُرى أنه إذا أقسم بشيء إنما يقسم به إما لكونه مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية، كالسماء مثلا، وإما لكونه معظما نحو لعمرك إذْ هو إقسام بحياة النبي صلى الله عليه وسلم. وإما لكونه ذا فائدة للإنسان ونفع خاص به كالتين والزيتون وقوله تعالى ﴿والطور﴾ وهو جبل الطور الذي كلم تعالى عليه موسى وهو مكان مقدس، وقوله ﴿وكتاب مسطور في رق منشور[٢]﴾ أي منشور في ورق أو جلد رقيق وهو التوراة أو القرآن والإقسام به لما فيه من حرمة وقدسية عند الله تعالى، والبيت المعمور[٣] وهو بيت في السماء تغشاه الملائكة كل يوم وتعمره بالعبادة وهو بحيال الكعبة بحيث لو وقع لوقع فوقها والسقف المرفوع وهو السماء وهي كالسقف للأرض وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ومثلها البحر المسجور[٤] أي المملوء بكميات المياه الهائلة فإنه مظهر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية هذا القسم الضخم جوابه أو المقسم عليه هو قوله إن عذاب ربك يا رسولنا لواقع ماله من[٥] دافع ليس له من دافع يدفعه ابداً، وإن له وقتاً محدداً يقع فيه، وعلامات تدل عليه وهي

(١) (الطور): الجبل باللغة السريانية ونقل إلى العربية بهذا اللفظ بمعنى الجبل وأصبح علماً بالغلبة على جبل طور سيناء الذي ناجى الله تعالى فيه نبيّه موسى عليه السلام.

(٢) الرَّق: بفتح الراء، ما رق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور: المبسوط وجائز أن يكون المراد به التوراة أو القرآن، إذ القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف وتقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ والرِّق بكسر الراء المِلك.

(٣) جائز أن يكون المراد بالبيت المعمور الكعبة المشرفة بمكة المكرمة،

وجـائز أن يكون بيتاً في السماء كما في التفسير، ويقال له: الضُراح بضم الضاد وفي الطبري: أن علياً سُئل عن البيت المعمور فقال: بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً.

(٤) جائز أن يكون المراد بالبحر: البحر الأحمر، (القلزم) الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وملأه. لمناسبة ذكر الطور، وجائز أن يكون المحيط ووصف بالمسجور وهو المملوء: حتى لا يدخل فيه الأنهار التي تملأ بالأمطار والأودية والسيول.

(٥) زيدت (من) في قوله تعالى (ما له من دافع) لتأكيد النفي.

قوله تعالى ﴿يوم تمور السماء موراً﴾[1] أي تتحرك بشدة وتدور وتسير الجبال سيراً فتكون كالهباء المنبث هنا وهناك فويل يومئذ للمكذبين والويل واد في جهنم مملوء بقيح وصديد أهل النار، والمكذبون هم الكافرون بالله وبما جاءت به رسله عنه من أركان الإيمان وقواعد الإسلام وقوله: ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾ أي في باطلهم وكفرهم يتشاغلون به عن الإيمان الحق والعمل الصالح المزكي للنفس المطهر لها. وقوله ﴿يوم يدعون[2] إلى نار جهنم دعاً﴾ أي يوم يدفعون بشدة وعنف الى جهنم ويقال لهم توبيخاً وتقريعاً لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون. أخبرونا: أفسحر[3] هذا أي العذاب الذي أنتم فيه الآن تعذبون أم أنتم لا تبصرون فلا تعاينونه. ويُقال لهم ايضا تبكيتاً وتقريعاً فاصبروا على عذاب النار أولاتصبروا سواء عليكم اي صبركم وعدمه عليكم سواء. إنما تجزون[4] ما كنتم تعلمون أي في الدنيا من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير البعث والجزاء.

٢- لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير الله تعالى.

٣- عرض سريع لأهوال القيامة وأحوال المكذبين فيها.

٤- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

إن المتقين : أي الذين اتقوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي.

(١) المور: التحرك باضطراب، ومور السماء: اضطراب أجسامها من الكواكب، واختلال نظامها عند نهاية الحياة.

(٢) (يوم يدعون) بدل اشتمال من(يوم تمور السماء موراً).

(٣) (أم) هي المنقطعة التي تقدر ببل والاستفهام، والاستفهام هنا للتهكم والتوبيخ والتقدير: بل أنتم لا تبصرون أي المرئيات.

(٤) (إنما تجزون): جملة تعليلية وإن حرف توكيد وما الموصولة بها هي الكافة وإنما المركبة من إن المشددة وما: الكافة لها عن العمل أفادت التعليل.

فاكهين : أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة التى آتاهم ربهم.
ووقاهم عذاب الجحيم : أي وحفظهم من عذاب الجحيم عذاب النار.
على سرر مصفوفة : أي بعضها الى جنب بعض.
وزوجناهم بحور عين : أي قرناهم بنساء عظام الأعين حِسانها.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار ذَكر حال أهل الجنة وهذا أسلوب الترغيب والترهيب الذي أمتاز به القرآن الكريم فقال تعالى مخبراً عن حال أهل الجنة: ﴿إن المتقين﴾ أي الذين اتقوا في الدنيا الشرك والمعاصي ﴿في جناتٍ﴾ أي بساتين ونعيم مقيم يحوى كل ما لذّ وطاب مما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين. فاكهين[1] بما آتاهم ربُهم أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة الموصوفة بقول الله تعالى: لا مقطوعة ولا ممنوعة. ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ أي حفظهم من عذاب النار. ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً[2] بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كُنتم تعملونه من أعمال البر والإصلاح بعد الفرائض واجتناب الشرك والمعاصي. وقوله ﴿متكئين﴾ أي خال كونهم وهم في نعيمهم متكئين على سُرر[3] مصفوفة قد صُف بعضها الى جنب بعض. وقوله تعالى ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أي قرناهم بزوجات من الحور العين والحور جمع حوراء وهي التي يغلب بياض عينها على سوادها والْعِين جمع عَيْناء وهى الواسعة العينين. جعلنا الله ممن يُزوجّون بهن إنه كريم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضل التقوى وكرامة أهلها.
٢ـ بيان منة الله وفضله على أهل الإيمان والتقوى وهم أولياء الله تعالى.
٣ـ مشروعية الدعاء بكلمة هنيئا لمن أكل أو شرب ائتساء بأهل الجنة.
٤ـ الإيمان والأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة وليست ثمنا لها لأن الجنة أغلى من عمل

---

(١) (فاكهين): أي: ذوي فاكهة كثيرة، يقال: رجل فاكه: أي ذو فاكهة كما يقال: لابن وتامر أي: ذو لبن وتمر، قال الشاعر:
وغَرَرْتني وزعمتَ أنـــك لابن بالصيف تامر
وفعله فكه كفرح فهو فاكه وفكه، وقرأ الجمهور بالأول وقرأ أبو جعفر بالثاني، والفاكه: من طابت نفسه وسُرت بما به من النعيم.
(٢) الهنيء: مالا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر يقال لهم: ليهنأكم ما صرتم إليه (هنيئاً).
(٣) (سرر): جمع سرير، وفي الكلام حذف تقديره: متكئين على نمارق سرر. قال ابنَ عباس رضي الله عنهما: سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير كما بين مكة وأيلة.

الانسان، وانما العمل الصالح يزكى النفس فيؤهل صاحبها لدخول الجنة فالباء في قوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ سببية وليست للعوض كما في قولك بعتك الدار بألف مثلا .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)﴾

شرح الكلمات :

والذين آمنوا : أي حق الإيمان المستلزم للإسلام والإحسان.

واتبعتهم ذريتهم بإيمان : أي كامل مستوفٍ لشرائطه ومنها الإسلام.

ألحقنا بهم ذريَّتهُم : أي وإن لم يعملوا عملهم بل قصروا في ذلك.

وما ألتناهم من عملهم من شيء : أي وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً.

كل امرىء بما كسب رهين : أي كل إنسان مرهون أي محبوس بكسبه الباطل.

يتنازعون فيها كاساً : أي يتعاطون بينهم فيها أي في الجنة كأساً من خمر.

لا لغو فيها ولا تأثيم : أي لا يقع لهم بسبب شربها لغو وهو كل كلام لا خير فيه ولا إثم.

ويطوف عليهم غلمان : أي ويدور بهم خدم لهم.

كأنهم لؤلؤ مكنون : أي مَصُونٌ.

وأقبل بعضهم على بعض : أي يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه في الدنيا وما وصلوا إليه في الآخرة.

قالوا إنا كنا قبل : أي قالوا مشيرين الى علة سعادتهم إنا كنا قبل أي في الدنيا.

فى أهلنا مشفقين : أي بين أهلنا وأولادنا مشفقين أي خائفين من عذاب الله تعالى.

فمن الله علينا : أي بالمغفـرة.

ووقانا عذاب السموم : أي وحفظنا من عذاب النار التي يدخل حرها في مسام الجسم.

إنا كنا ندعـــوه : أي في الدنيا نعبده موحدين له.

إنه هو البر الرحيم : أي المحسن الصادق في وعده الرحيم العظيم الرحمة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وإنعامه على أوليائه في الجنة إذ قال تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾ أي حق الإيمان الذي هو عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان واتبعتهم[1] ذريتهم بإيمان كامل صحيح إلا أنهم لم يبلغوا من الأعمال الصالحة ما بلغه آباؤهم ألحقنا بهم ذريتهم لتقر بذلـك أعينهم وتعـظم مسرتهم وتكمل سعادتهم باجتماعهم مع ذريتهم. وقوله تعــالى : ﴿ومــا ألتنــاهم[2] من عملهم من شيء﴾ أي ومــا نقصنــا الآبــاء من عملهم الصــالـح من شيء بل وفيناهموه كاملاً غير منقوص ورفعنا إليهم ابناءهم بفضلٍ منا ورحمة. وقوله تعالى: ﴿كـل امرىء بما كسب[3] رهين﴾ إخبار منه تعالى أن كل نفس عنده يوم القيامة مرتهنة بعملها تجزى به إلا أنه تعالى تفضل على أولئك الآباء فرفع الى درجاتهم أبناءهم تفضلا واحسانا. وقوله عز وجـل: ﴿وأمـددنـاهـم﴾ أي الآباء والأبناء من سكان الجنة بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان. هذا طعامهم أما الشراب فإنهم يتنازعون[4] أي يتعاطون في الجنة كأساً من خمر لا لغو فيها. أي لا تسبب هذياناً من الكلام إذ اللغو الكلام الذي لا فائدة منه. وقوله: ﴿ولا تأثيم﴾[5] أي وليس في شربها إثم وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم غلمان﴾ أي خدم لهم كأنهم في جمالهم وحسن منظرهم لؤلؤ مكنون في أصدافه.

---

(١) قرأ الجمهـور (واتَّبَعَتْهُمْ) وقـرأ أبو عمرو وحده (واتبعناهم) وقرأ الجمهور (ذريتهم) بالإفراد، وقرأ ابن عامر بالجمع: (ذرياتهم) مفعول لاتبعناهم ، وقرأ نافع (ذرياتهم) الأخيرة بالجمع وقرأها حفص بالإفراد (ذريتهم) كالأولى.

(٢) (وما ألتناهم) قرأ الجمهور بفتح اللام، وقـرأه ابن كثير بكسر اللام، والواو للحال، فالجملة حالية، والمعنى: أنّ الله تعالى ألحق بهم ذرياتهم في الدرجة من دون أن ينقص من حسـناتهم شيئاً.

(٣) الجملة معترضة بين جملة: (وما ألتناهم) وجملة (وأمددناهم) والجملة تقرير لعدالة الرّب تعالى في الحكم بين عباده فيجزي كل نفس بما كسبت، وله أن يتفضل ويرفع من يشاء درجات.

(٤) أطلق التنازع على التداول والتعاطي والمعنى: أن بعضهم يصب للبعض ويناوله إيثاراً له وكرامة.

(٥) اللغو: سقط الكلام وهذيانه الصادر عن خلل في العقل. والتأثيم: ما يؤثم به فاعله من ضرب أو شتم أو تمزيق ثوب.

وقوله تعالى : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي عما كان لهم في الدنيا، وما انتهوا إليه في الآخرة من هذا النعيم المقيم . وقالوا مشيرين الى سبب نعيمهم في الآخرة إنا كنا أي في الدنيا في أهلنا مشفقين أي خائفين من عذاب ربنا فترتب على ذلك أن منَّ الله علينا بدخول الجنة ووقانا عذاب السموم الذي هو عذاب النار الذي ينفذ الى المسام والعياذ بالله تعالى . إنا[1] كنا من قبل أي في الدنيا قبل الآخرة ندعوه ونتضرع إليه أن يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة إنه هو تعالى البر بأوليائه الرحيم بعباده المؤمنين

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وصف كامل لأهل الجنة وهو تقرير في نفس الوقت للبعث والجزاء بذكر ما يكون فيه .

٢ـ فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله بإلحاق الابناء قليل العمل الصالح بآبائهم الكثيري العمل الصالح .

٣ـ تقرير قاعدة أن المرء يوم القيامة يكون رهين كسبه لا يفكه الا الله عز وجل فمن استطاع أن يفك رقبته فليفعل وذلك بالإيمان والإسلام والإحسان .

٤ـ فضيلة الإشفاق في الدنيا من عذاب الآخرة .

٥ـ فضل الدعاء والتضرع الى الله تعالى .

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ



(١) قرأ نافع بفتح همزة أنه على تقدير حرف جرّ لأنه للتعليل، وقرأ حفص بالكسر. والجملة تعليلية .

شـرح الكلـمات :

فذكر فما أنت بنعمة ربك : أي فذكر بالقرآن وعظ من أرسلت إليهم من قومك وغيرهم فلست بنعمة ربك عليك بالعقل وكمال الخلق والوحى إليك.

بكاهـن ولا مجـنون : أي بمتعاطٍ للكهانة فتخبر عن الغيب بواسطة رئي من الجن ولا أنت بمجنون.

نتربص به ريب المنون : أي تنتظر به حوادث الدهر من موت وغيره.

أم تأمرهم أحلامهم بهذا : أي أتـأمرهم احلامهم أي عقولهم بهذا و هو قولهم إنك كاهن ومجنون لم تأمرهم عقولهم به.

أم هم قوم طاغـون : أي بل هم قوم طاغون متجاوزون لكل حد تقف عنده العقول.

أم يقولون تقوله؟ : أي اختلق القرآن وكذبه من تلقاء نفسه.

فليأتوا بحديث مثله : أي فليأتوا بقرآن مثله يختلقونه بأنفسهم.

إن كانوا صادقين : أي في أن محمداً صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن.

معنى الآيـات :

بعد ذلك العرض لأحوال أهل النار وأهل الجنة فلم يبق الا التذكير يا رسولنا فذكر أي قومك ومن تصل اليهم كلمتك من سائر الناس بالقرآن وما يحمل من وعد ووعيد؛ وما يدعو إليه من هدىً وطريق مستقيم، فما أنت بنعمة ربك أي بما أولاك ربك من رجاحة العقل وكمال الخلق وكرم الفعـال وشرف النبوة بكاهن تقول الغيب بواسطة رئيّ من الجن، ولا مجنون تخلط القول وتقول بما لا يفهم عنك ولا يعقل.

وقوله تعالى: ﴿أم[1] يقولون شاعر نتربّصُ[2] به ريب المنون﴾ أي بل يقولون هو شاعر كالنابغة وزهير نتربص به حوادث الدهر حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء ولا ندخل معه في خصومة وجدل قد يغلبنا. وقوله تعالى قل تربّصوا[3] أي ما دمتم قد رأيتم التربص بي فتربصوا فإني معكم من المتربصين، وقوله تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ والاستفهام للنفي والتوبيخ والجواب لم تأمرهم عقولهم بهذا بل هم قوم طاغون أي إن طغيانهم هو الذي يأمرهم بما يقولون

---

(١) أم: هي المنقطعة المفسرة ببل والاستفهام قيل للإضراب الانتقالي من قول إلى آخر والاستفهام إنكاري.

(٢) روى الطبراني عن قتادة: أنهم كانوا يقولون: تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان، (والمنون) من أسماء الموت، والريب: أحداث الدهر. والمعنى: ينتظرون به أحداث الدهر المفضية به إلى الموت.

(٣) أمر الله رسوله أن يقول لهم (تربصوا) بي ريب المنون فإني متربص بكم ما سيحدث لكم من أحداث تهلكون فيها وفي هذا: معنى المفاصلة وإنهاء الجدال والمخاصمة.

ويفعلون من الباطل والشر والفساد وقوله أم يقولون تقوَّله والجواب وإن قالوا تقوله فإن قولهم لم ينبع من عقولهم ولم يصدر من أحلامهم بل عن كفرهم وتكذيبهم بل لا يؤمنون، والدليل على صحة ذلك تحدى الله تعالى لهم بالإتيان بحديث مثله وعجزهم عن ذلك فلذا هم لا يعتقدون ولا يرون أن الرسول تقول القرآن من عنده، وإنما لما لم يؤمنوا به لا بد أن يقولوا كلمة يدفعون بها عن أنفسهم فقالوا تقوله فقال تعالى ﴿ بل لا يؤمنون[1] فليأتوا بحديث مثله﴾ أي مثل القرآن ﴿إن كانوا صادقين﴾ في قولهم إن الرسول تقوله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب التذكير والوعظ والارشاد على أهل العلم بالكتاب والسنة لأنهم خلفاء الرسول ﷺ فى أمته.

٢ـ ذم الكهانة بل حرمتها لأنها من أعمال الشياطين، والكاهن من يقول بالغيب.

٣ـ ذم الطغيان فانه منبع كل شر ومصدر كل فتنة وضلال.

٤ـ حرمة الكذب مطلقا وعلى الله ورسوله بخاصة لما ينشأ عنه من فساد الدين والدنيا.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) (بل لا يؤمنون) أي: علة لقولهم (تقوّله) إذ هم يعرفون تمام المعرفة أنه ليس من قول الرسول ﷺ وإنما مما يوحى إليه من الله تعالى وإنما قالوا: تقوّله لعدم إيمانهم، ثم تحداهم الحق تعالى بقوله (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) في دعواهم انه تقوّله أي: فليتقوّلوا مثله!!

شـرح الكلـمات :

أم خلقوا من غير شيء؟ : أي من غير خالقٍ خلقهم وهذا باطل.

أم هم الخالقون؟ : أي لأنفسهم وهذا محال إذ الشيء لا يسبق وجوده.

أم خلقوا السموات والأرض؟ : أي لم يخلقوهما لأن العجز عن خلق أنفسهم دال على عجزهم عن خلق غيرهم.

بل لا يوقنون : أي أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض كما يقولون إذ لو كانوا موقنين لما عبدوا غير الله ولآمنوا برسوله ﷺ.

أم عندهم خزائن ربك : أي من الرزق والنبوة وغيرهما فيخصوا من شاءوا بذلك من الناس.

أم هم المسيطرون : أي المتسلطون الغالبون فيتصرفون كيف شاءوا.

أم لهم سلم يستمعون فيه : أي ألهم مرقىً الى السماء يرقون فيه فيسمعون كلام الملائكة فيأتون به ويعارضون الرسول في كلامه.

فليأتوا بسلطان مبين : أي بحجة بينة تدل على صدقه(1) وليس لهم في ذلك كله شيء.

أم له البنات ولكم البنون؟ : أي ألهُ تعالى البنات ولكم البنون إن أقوالكم كلها من هذا النوع لا واقع لها أبداً إنها افتراءات.

أم تسألهم أيها الرسول أجراً : أي على إبلاغ دعوتك.

فهم من مغرم مثقلون : أي فهم من فداحة الغرم مغتمون ومتعبون فكرهوا ما تقول لذلك.

أم عندهم الغيب فهم يكتبون : أي علم الغيب فهم يكتبون منه لينازعوك ويجادلوك به.

أم يريدون كيداً : أي مكراً وخديعة بك وبالدين.

فالذين كفروا هم المكيدون : أي فالكافرون هم المكيدون المغلوبون.

أم لهم إله غير الله : أي ألهم معبود غير الله والجواب: لا.

سبحان الله عما يشركون : أي تنزه الله عما يشركون به من أصنام وأوثان.

معنى الآيات :

بعد أن أمر تعالى رسوله بالتذكير وأنه أهل لذلك لما أفاض عليه من الكمالات وما وهبه من المؤهلات. أخذ تعالى يلقن رسوله الحجج فيذكر له باطلهم موبخاً إياهم به ثم يدمغه بالحق في أسلوب قرآني عجيب لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى. ومنه قوله: ﴿أم خلقوا من[1] غير شيء﴾ أي أخلقوا من غير خالق ﴿أم هم[2] الخالقون﴾ والجواب لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم خلقوا أنفسهم إذ الأول باطل فما هناك شيء موجود وجد بغير مُوجد؟! والثاني محال؛ إن المخلوق لا يوجـد قبـل أن يخلق فكيف يخلقون أنفسهم وهم لم يخلقوا بعد؟! ويدل على جهلهم وعمي قلوبهم ما رواه البخاري عن جبير بن مطعم أنه ذكر أنه لما قدم على رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في شأن فداء الأسرى سمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور قال فلما بلغ في القراءة عند هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ كاد قلبي يطير. سمعها وهو مشرك فكانت سبباً في إسلامه فلو فتح القوم قلوبهم للقرآن لأنارها واسلموا في أقصر مدة.

وقوله تعالى: ﴿أم خلقوا السموات[3] والأرض﴾ والجواب: لا، إذ العاجز عن خلق ذبابة فما دون عن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجز. وقوله تعالى ﴿بل لا يوقنون﴾ أن الله هو الذي خلقهم وخلق السمـوات والأرض فقـولهم عند سؤال من خلقهم: الله، وعن خلق السموات والأرض: الله لم يكن عن يقين إذ لوكان عن يقين منهم لما عبدوا الأصنام ولما أنكروا البعث ولما كذبوا بنبوة محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ أي من الأرزاق والخيرات والفواضل والفضائل فيخصوا من شاءوا منها ويحرموا من شاءوا والجواب ليس لهم ذلك فلم إذاً ينكرون على الله ما أتى رسوله من الكمال والإفضال؟ أم هم المسيطرون أي الغالبون القاهرون المتسلطون فيتصرفون كيف شاءوا في الملك؟ والجواب: لا، إذاً فلم هذا التحكم الفاسد.

وقوله تعالى: ﴿أم لهم سلم يستمعون[4] فيه فليأت مستمعهم بسلطانٍ مبين﴾ أي ألهم مرقى

---

(١) هذا إضراب انتقالي إلى ابطال نوع آخر من شبههم في إنكار البعث إذ السورة مكية، والغالب على هذه السورة معالجة عقيدة البعث الآخر والاستفهام المقدر بعد (أم) تقريري.

(٢) الاستفهام المقدر هنا إنكاري.

(٣) الاستفهام تقريري، وبل المقدرة قبل الاستفهام للانتقال وهكذا يورد. قولهم مقررا لهم ثم يكر عليه فيبطله في جميع هذه الجمل المبدوءة بـ أم المنقطعة.

(٤) السلم: المصعد، وجمعه سلالم قال الشاعر:

ومن هاب أسباب المنية يلقها ... ولو رام أسباب السماء بسلّم

وقال آخر:

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا ... يبنى له في السموات السلاليم

أحجاء البلاد: أرجاؤها ونواحيها.

يرقون فيه إلى السماء فيستمعون الى الملائكة فيسمعون منهم ما يمكنهم ان ينازعوا فيه رسولنا محمـداً ﷺ فليأت مستمعهم بحجة واضحة ظاهرة على دعواه ومن أين له ذلك وقد حجبت الشياطين والجن عن ذلك فكيف بغير الجن والشياطين.

وقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ أي لله تعالى البنات ولكم البنون إن جميع ما تقولونه من هذا النوع هـو كذب ساقط بارد، وافتراء ممقوت ممجوج إن نسبتهم البنات لله كافية في رد كل ما يقولون ومبطلة لكل ما يدعون فإنهم كذبة مفترون لا يتورعون عن قول ما تحيله العقول، وتتنزه عنه الفُهُوم. وقوله: ﴿أم تسألهم أجرا من مغرم مثقلون﴾ أي أتسألهم يا رسولنا عما تبلغهم عنا أجراً فهم لذلك مغتمون ومتعبون فلا يستطيعون الإيمان بك ولا يقدرون على الأخذ عنك.

وقوله: ﴿أم عندهم الغيب فهم[1] يكتبون﴾ أي أعندهم علم الغيب فهم منهمكون في كتابته لينازعوك فيما عندك ويحاجوك بما عندهم، والجواب من أين لهم ذلك، وقوله: ﴿أم يريدون كيداً﴾ أي أيريدون بك وبدينك كيداً؛ ليقتلوك ويبطلوا دينك فالذين كفروا[2] هم المكيدون ولست أنت ولا دينك. ولم يمض عن نزول هذه الآيات طويلُ زمن حتى هلك أولئك الكائدون ونصر الله رسوله وأعز دينه والحمد لله رب العالمين.[3]

وقوله تعالى: ﴿أم لهم إله غير الله﴾ أي ألهم إلهٌ أي معبود غير الله يعبدونه والحال أنه لا إله إلا الله ﴿فسبحان[4] الله عما يشركون﴾ أي تنزه الله وتقدس عما يشركونه به من أصنام وأوثان لا تسمع ولا تبصر فضلا عن أن تضر أو تنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد بذكر دلائله.

٢ـ تقرير النبوة المحمديّة.

٣ـ تسفيه أحلام المشركين.

٤ـ عدم مشروعية أخذ أجرٍ على إبلاغ الدعوة.

٥ـ لا يعلم الغيب إلا الله.

---

(١) حاصل معنى هذا: أنهم لا قبل لهم بإنكار ما جحدوه من البعث والوعيد والنبوة ولا بإثبات ما أثبتوه من الشرك وما وصفوا به الرسول ﷺ من صفات مستحيلة الوقوع.

(٢) لم يمض يسير زمن حتى هلك رؤساء الشرك في بدر مصداق قوله تعالى: (هم المكيدون) كقوله: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

(٣) الاستفهام إنكاري.

(٤) نزّه تعالى نفسه أن يكون له شريك كما زعم المشركون وادعوا باطلا فأبطل بذلك كل دعاويهم في تأليه غيره تعالى من الأصنام والشياطين.

٦- صدق القرآن في أخباره آية أنه وحي الله وكلامه صدقاً وحقاً إنه لم يمض إلا قليل من الوقت أي خمسة عشر عاماً حتى ظهر مصداق قول الله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون.

وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

وإن يروا كسفا من السماء ساقطا : أي وإن يَرَ هؤلاء المشركون قطعة من السماء تسقط عليهم.

يقولوا سحاب مركوم : أي يقولوا في القطعة سحاب متراكم يمطرنا ولا يؤمنوا.

فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون : أي فاتركهم إذاً يجاحدون ويعاندون حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم موتهم.

يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولاهم ينصرون : أي اتركهم الى ما ينتظرهم من العذاب ما داموا مصرين على الكفر وذلك يوم لا يغنى عنهم مكرهم بك شيئاً من الإغناء.

وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك : أي وإن لهؤلاء المشركين الظلمة عذاباً في الدنيا دون

عذاب يوم القيامـة وهو عذاب القحط سبع سنين وعذاب القتل في بدر.

ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أن العذاب نازل بهم في الدنيا قبل يوم القيامة.

واصبر لحكم ربك : أي بإمهـالهم ولا يضق صدرك بكفرهم وعنادهم وعدم تعجيل العذاب لهم.

فإنك بأعيننا : أي بمرأىً منا نراك ونحفظك من كيدهم لك ومكرهم بك.

وسبح بحمد ربك حين تقوم : أي واستعن على الصبـر بالتسبيح الـذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها والضراعة والدعاء صباح مساء.

معنى الآيـات :

يذكر تعالى من عناد المشركين أنهم لو رأوا العذاب نازلاً من السماء فى صورة قطعة كبيرة من السماء ككوكب مثلا لما أذعنوا ولا آمنوا بل قالوا في ذلك العذاب سحاب[1] مركوم الآن يسقى ديارنا فنرتوي وترتوي أراضينا وبهائمنا. إذاً فلما كان الأمر هكذا فذرهم يا رسولنا في عنادهم وكفرهم حتى يلاقوا وجهاً لوجه يومهم الذي فيه يصعقون أي يموتون يوم لا يغني عنهم كيدهم[2] شيئا ولاهم ينصرون، فيذهب كيدهم ولا يجدون له أي أثر بحيث لا يغنى عنهم أدنى إغناء من العذاب النازل بهم ولا يجدون من ينصرهم، وذلك يوم القيامة.

وقـوله تعالى : ﴿وإن للذين ظلموا﴾ أي أنفسهم أي بالكفر والتكذيب والشرك والمعاصى عذاباً[3] دون ذلك المذكور من عذاب يوم القيامة وهو ما أصابهم به من سِنِي القحط والمجاعة وما أنزله بهم من هزيمة في بدر حيث قتل صناديدهم وذلوا وأهينوا ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك، ولو علموا لما أصروا على العناد والكفر.

وقوله تعالى : واصبر لحكم ربك وقضائه بتأخير العذاب عن هؤلاء المشركين، ولا تخف ولا تحـزن فإنك بأعيننا أي بمرأىً منا نراك ونحفظك، وجمع لفظ العين على أعين مراعاة لنون العظمة وهو المضاف إليه «بأعيننا».

وقوله ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله وبحمده حين تقوم[4] من نومك ومن مجلسك

---

(١) يقال في مثل هذا: هو منسوخ بآية السيف.

(٢) هو ما كانوا يكيدون للرسول ﷺ وما يمكرون به.

(٣) جائز أن يكون عذاب القبر.

(٤) شاهده ما رواه الترمذي بإسناد حسن قوله ﷺ (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك).

ومن الليل ايضاً فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر فسبح بصلاة الصبح وغيرها.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان عناد كفار قريش ومكابرتهم فى الحق ومجاحدتهم فيه.

٢ـ تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وهى للدعاة بعده أيضا.

٣ـ تقرير وخامة عاقبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة.

٤ـ وجوب الصبر على قضاء الرب وعدم الجزع.

٥ـ مشروعية التسبيح عند القيام من النوم[1] بنحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيى ويُميت وهو على كل شيء قدير والحمد لله الذى أحيانى بعدما أماتنى وإليه النشور.

سُورَةُ النَّجْمِ

مكيـة

وآياتها ثنتان وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ

---

(١) يرى ابن مسعود رضي الله عنه أن قوله: (حين تقوم) شامل لكل قيام يقومه من اي مكان.

نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

والنجم إذا هوى : أي والثريا إذا غابت بعد طلوعها.

ما ضل صاحبكم : أي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهدى.

وما غوى : أي وما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد.

وما ينطق عن الهوى : أي عن هوى نفسه أي ما يقوله عن الله تعالى لم يصدر فيه عن هوى نفسه.

إن هو الا وحي يوحى : أي ما هو إلا وحى إلهى يوحى إليه.

علّمه شديد القوى : أي علمه ملك شديد القوى وهو جبريل عليه السلام.

ذو مِـرَّةٍ : أي لسلامة في جسمه وعقله فكان بذلك ذا قوة شديدة.

فاستوى وهو بالافق الاعلى : أي استقر وهو بأفق الشمس عند مطلعها على صورته التى خلقه الله عليها فرآه النبي ﷺ وكان بجياد قدسد الأفق الى المغرب وكان النبي ﷺ هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه فى صورته التي خلقه الله عليها.

ثم دنا فتدلى : أي وقرب منه فتدلى أى زاد فى القرب.

فكان قاب قوسين أو أدنى : أي فكان فى القرب قاب قوسين أي مقدار قوسين.

فأوحى الى عبده ما أوحى : أي فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل الى النبي ﷺ.

ما كذب الفؤاد ما رأى : أي ما كذب فؤاد النبي ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام.

أفتمارونه على ما يرى : أي أفاتجادلونه أيها المشركون على ما يرى من صورة جبريل.

ولقد رأه نزلة أخرى : أي على صورته مرة أخرى وذلك فى السماء ليلة أسرى به.

عند سدرة المنتهى : وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة.

عندها جنة المأوى : أي تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين أولياء الله.

إذ يغشى السدرة ما يغشى : أي من نور الله تعالى ما يغشى.

ما زاغ البصر وما طغى : أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، ولا ارتفع عن الحد الذي حدد له.

لقد رأى من آيات ربه الكبرى: أي رأى جبريل في صورته ورأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿والنجم﴾[1] إلى قوله ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ يقرر به تعالى نبوة محمد عبده ورسوله ﷺ وقد أقسم بالنجم إذا هوى وهو نجم الثريا إذا غاب في الأفق على أنه ما ضل محمد صاحب قريش الذي صاحبته منذ ولادته ولم يغب عنها ولم تغب عنه مدة تزيد على الأربعين سنة فهى صحبة كاملة ما ضل عن طريق الهدى وهم يعرفون هذا، وما غوى[2] أيضا أية غواية وما لابسه جهل في قول ولا عمل فغوى به. وما ينطق بالقرآن وغيره مما يقوله ويدعو إليه عن هوى[3] نفسه كما قد يقع من غيره من البشر إن هو إلا وحى يوحى أي ما هو أي الذي ينطق به ويدعو إليه ويعمله إلا وحى يُوحى إليه. علمه إياه ملك شديد القوى[4] ذو مرة أي سلامة عقل وبدن فكان بذلك قوياً روحياً وعقلياً وذاتياً وهو جبريل عليه السلام وقوله: ﴿فاستوى﴾ أي جبريل ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ ومعنى استوى استقر ﴿ثم دنى فتدلى﴾ أي تدلى فدنا أي قرب شيئاً فشيئاً حتى كان من الرسول ﷺ قاب قوسين أي قدر قوسين والقوس معروف آلة للرمي ﴿أو أدنى﴾ أي من قاب قوسين.[5]

---

(١) أصل النجم: الطلوع والظهور يقال: نجم السِّن: إذا طلع، ونجم السر إذا ظهر وأطلق النجم بالغلبة على الثريا. الهوي: السقوط يقال: هوى يهوي هوياً كمضى يمضي مضياً. وهوى يهوي هوياً: إذا خسر للسجود، ومن الحب يقال: هوى يهوى هوى كرضي يرضى رضاً: إذا أحبَّ.

(٢) الغيّ: ضد الرشد، والغواية مثله: وهو فساد الرأي وتعاطي الإنسان الباطل من الأقوال والأفعال مما لا خير فيه البتة.

(٣) الهوى: ميل النفس إلى ما تحبّه أو تحبّ أن تفعله دون اقتضاء العقل السليم الحكيم له وفعله: هوى يهوى كرضي يرضى هوىً.

(٤) (شديد القوى) صفة لموصوف محذوف أي: علّمه ملك شديد القوى هو جبريل اجماعاً، والمرة: تطلق على قوة الذات وعلى متانة العقل معاً، وعليهما كان جبريل عليه السلام.

(٥) أي: مقدار قوسين.

وقوله تعالى ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[1] أي فأوحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ وقوله ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أي ما كذب فؤادُ محمد ﷺ ما رآه محمد ببصره وهـو جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ذات الستمائة جناح طول الجناح ما بين المشرق والمغرب. وقوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ هذا خطاب للمشركين المنكرين لرؤية النبي ﷺ ينكر تعالى ذلك عليهم بقوله ﴿أفتمارونه﴾ أي تجادلونه وتغالبونه أيها المشركون على ما يرى ببصره. ﴿ولقد رآه نزلة أخرى[2]﴾ أي مرة أخرى ﴿عند سدرة المنتهى[3]﴾ وذلك ليلة أسرى به ﷺ، ووصفت هذه السدرة[4] وهي شجرة النبق بأن أوراقها كآذان الفيلة وأن ثمرها كغلال هجر قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيّرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها، وسميت سدرة المنتهى لانتهاء علم كل عالم من الخلق إليها أو لكونها عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة. وقوله ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي الجنة التي تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء، والمتقين أولياء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى[5]﴾ أي من نور الله تعالى، والملائكة من حب الله مثل الغربان حين تقفز على الشجر كذا روى ابن جرير الطبرى. وقوله ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً ولا ارتفع فوق الحد الذي حدد له. ﴿ولقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[6] أي رأى جبريل في خلقه الذي يكون فيه في السماء ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ورأى من عجائب خلق الله ومظاهر قدرته وعلمه مالا سبيل إلى إدراكه والحديث عنه.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١- تقرير النبوة لمحمد وإثباتها بمالا مجال للشك والجدال فيه.

٢- تنزيه الرسول ﷺ عن القول بالهوى أو صدور شيء من أفعاله أو أقواله من اتباع الهوى.

٣- وصف جبريل عليه السلام.

٤- إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل وعلى صورته التي يكون في السماء عليها مرتين.

٥- تقرير حادثة الإسراء والمعراج وإثباتها للنبي ﷺ.

٦- بيان حقيقة سدرة المنتهى.

(١) (ما أوحى) إبهام من أجل التفخيم أي: أوحى إليه شيئاً عظيماً.

(٢) (نزلة) على وزن فعلة من النزول دال على المرة أي: رآه إذ نزل إليه مرة أخرى.

(٣) السدر شجر معروف صحراوي فيه ثلاث ميزات: ظل ظليل وثمر لذيذ ورائحة ذكية.

(٤) هذا الوصف رواه مسلم في صحيحه.

(٥) في قوله (ما يغشى) من التفخيم ما فيه.

(٦) جملة: (لقد رأى من آيات ربه) تذييل أي: رأى آيات أخرى غير سدرة المنتهى وجنة المأوى وما غشي السدرة من البهجة والجلال والآيات: دلائل عظمةِ الله تعالى.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

أفرأيتم اللات والعزى : أي أخبروني عن أصنامكم التى اشتققتم لها أسماء من أسماء الله وأنثتموها.

ومناة الثالثة الأخرى[1] : وجعلتموها بناتٍ لله، افتراء على الله وكذباً عليه.

ألكم الذكر وله الأنثى : أي أتزعمون أن لكم الذكر الذى ترضونه لأنفسكم ولله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم.

تلك إذاً قسمة ضيزى : أي قسمتكم هذه إذاً قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة ناقصة غير تامة.

إن هي إلا أسماء سميتموها : أي ما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء لا حقيقة لها.

أنتم وآباؤكم : أي سميتموها بها أنتم وآباؤكم.

ما أنزل الله بها من سلطان : أي لم ينزل الله تعالى وحياً يأذن في عبادتها.

إن يتبعون إلا الظن : أي ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب.

---

(١) هدمها خالد بن الوليد بأمر رسول الله ﷺ ولما شرع في هدمها قال لها:

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

وما تهوى الأنفس : أي وما يتبعون الا ما تهواه نفوسهم وما تميل إليه شهواتهم.

أم للإنسان ما تمنى : أي بل أللإنسان ما تمنّى والجواب لا ليس له كل ما يتمنى.

فلله الآخرة والأولى : أي إن الآخرة والأولى كلاهما لله يهب منهما مايشاء لمن يشاء.

وكم من ملك في السموات : أي وكثير من الملائكة في السموات.

لا تغنى شفاعتهم شيئاً : أي لو أرادوا أن يشفعوا لأحد حتى يكون الله قد أذن لهم ورضى للمسموح له بالشفاعة.

معنى الآيـات :

بعد أن ذكر تعالى مظاهر قدرته وعظمته وعلمه وحكمته في الملكوت الأعلى جبريل وسدرة المنتهى ومـا غشـاها من نور الله وما أرى رسوله من الآيات الكبرى، خاطب المشركين بقوله ﴿أفرأيتم اللات[1] والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ أي أعميتم فرأيتم هذه الأصنام أهلاً لأن تسوّى بمن له ملكوت السموات والأرض وعبدتموها معه على حقارتها ودناءتها، وأزددتم عمىً فاشتققتم لها من أسماء الله تعالى أسماء فمن العزيز اشتققتم العُزى ومن الله اشتققتم اللات، وجعلتموها بنات لله افتراء على الله بزعمكم أنها تشفع لكم عند الله. أخبرونى ألكم الذكر[2] لأنكم تحبون الذكران وترضون بهم لأنفسكم، وله الأنثى لأنكم تكرهونها ولا ترضون بها لأنفسكم، إذا كان الأمر على ما رأيتم فإنها قسمة ضيزى[3] أي جائرة غير عادلة وناقصة غير تامة فكيف ترضونها لمن عبدتم الأصنام من أجل التوسل بها إليه ليقضى حوائجكم؟ إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم. إن أصنامكم أيها المشركون لا تعدو كونها أسماء لآلهة لا وجود لها ولا حقيقة في عالم الواقع إذ لا إله إلا الله، أما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فلم تكن آلهة تحيى وتميت وتعطى وتمنـع وتضر وتنفع. إن هي أي ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من

---

(١) انتقل الكلام من تقرير النبوة المحمدية إلى تقرير الإلهية الربانية، واللات أصله: لات فأدخلوا عليه ال فصار اللات، وهي صنم لثقيف كانت قريش والعرب يعبدونه، وقيل: هو وصف لرجل كان يلت السوق للحجاج ثم صُنع له صنم تمثالاً والهته ثقيف وقريش وجمهور العرب والعزى اسم مشتق من العز وهي فعلى ككبرى: صنم عليه بناء كان بوادي نخلة فوق (ذات عِرق) ميقات أهل العراق قريباً من الطائف ومناة: صنم كان لخزاعة كان بالمشلل حذو قديد بين مكة والمدينة وكان الأوس والخزرج يهلون منه ويطوفون به كالسعي بين الصفا والمروة.

(٢) تقديم الجار والمجرور في (ألكم الذكر) للاهتمام بالاختصاص.

(٣) (ضيزى) اسم كدفلي وشعرى، وهو مشتق من ضاز يضيز ضيزاً: إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص. قال الشاعر:

ضازت بنو أسد بحكمهم   إذ يجعلون الرأس كالذنب

سلطان أي لم ينزل بها وحياً يأذن بعبادتها. وهنا التفت الجبار جل جلاله في الخطاب عنهم وقال ﴿إنْ يتَّبعون إلَّا الظن﴾ أي إن هؤلاء المشركين ما يتبعون في عبادة هذه الأصنام إلَّا الظن، فلا يقين لهم في صحة عبادتها. كما يتبعون في عبادتها ﴿وما تهوىٰ الأنفس﴾ أي هوىٰ أنفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ﴾ فبيَّن لهم الصراط السوى فأعرضوا عنه وهو الحق من ربهم. وتعلقوا بالأمانى الكاذبة وأن أصنامهم تشفع لهم، أم للانسان ما تمنى[1] والجواب ليس له ما تمنى، إذ لله الآخرة والأولى يعطى منها ما يشاء ويمنع ما يشاء وكم من[2] ملك فى السموات لا يعدون كثرة لا تغنى شفاعتهم شيئاً من الإغناء ولو قلّ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع من الملائكة وغيرهم، ويرضى عن المشفوع له، وإلَّا فلا شافع ولا شفاعة تنفع عند الله الملك الحق المبين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التنديد بالشرك والمشركين وتسفيه أحلامهم لعبادتهم اسماء لا مسميات لها فى الخارج إذ تسمية حجراً إلهاً لن تجعله إلهاً.

٢- بيان أن المشركين في كل زمان ومكان ما يتبعون في عبادة غير الله إلا أهواءهم.

٣- بيان أن الانسان لا يعطى بأمانيه، ولكن بعمله وصدقه وجده فيه.

٤- بيان أن الدنيا كالآخرة لله فلا ينبغي أن يُطلب شيء منها إلا من الله مالكها.

٥- كل شفاعة تُرجى فهى لا تحقق شيئاً الا بتوفر شرطين الأول أن يأذن الله للشافع فى الشفاعة والثانى أن يكون الله قد رضي للمشفوع له بالشفاعة والخلاصة هى: الإذن للشافع والرضا عن المشفوع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

(١) الاستفهام المقدر بعد أم إنكاري المقصود منه إبطال حصول الإنسان على ما يتمناه.

(٢) هذه الجملة تأكيد لإبطال حصول الإنسان على ما يتمناه وإبطال لاعتقاد المشركين في أن آلهتهم تشفع لهم عند الله عز وجل.

شـرح الكلـمات

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة : أي إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة.

ليسمون الملائكة تسمية الأنثى : أي ليطلقون على الملائكة أسماء الإناث إذ قالوا بنات الله.

وما لهم به من علم : أي وليس لهم بذلك علم من كتاب ولا هدى من نبي ولا عقل سوى

إن يتبعون إلا الظن[1] : أي في تسميتهم الملائكة إناثاً إلا مجرد الظن، والظن لا تقوم به حجة ولا يعطى به حق.

فأعرض عمن تولى عن ذكرنا : أي القرآن وعبادتنا.

ولم يرد إلا الحياة الدنيا: ولم يرد من قوله ولا عمله إلا ما يحقق رغائبه من الدنيا.

ذلك مبلغهم من العلم : أي ذلك الطلب للدنيا نهاية علمهم إذ آثروا الدنيا على الآخرة.

معنى الآيـات :

لمـا ندد تعـالى بالمشركين الذين جعلوا من الأصنام والأوهام والأماني آلهة وجادلوا دونها وجالدوا ذكر ما هو علة ذلك التخبط والضلال فقال: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ دار السعادة الحقة أو الشقاء ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ فلو آمنوا بالآخرة لما سموا الملائكة بنات الله لأن المؤمن بالآخرة يحاسب نفسه على كل قول وعمل له تبعة يخشى أن يؤخذ بها بخلاف الذي لا يؤمن بالآخرة فإنه يقول ويفعل ما يشاء لعدم شعوره بالمسئولية والتبعة التى قد يؤخذ بها فيهلك ويخشى كل شيء وهو تعليل سليم حكيم.

وقوله تعالى: ﴿وما لهم به من علم﴾[2] أي ليس لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله أي علم يعتـد به إن يتبعون فيه إلا الظن والظن أكذب الحديث، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وبناء على هذا أمـر الله تعالى رسوله أن يعرض عمن تولى منهم عن الحق بعد معرفته وعن الهدى بعد مشاهدته فقال تعالى ﴿فأعرض[3] عمن تولى عن ذكرنا﴾ أي القرآن والإيمان والتوحيد والطاعة، ولم يرد بقوله وعمله واعتقاده إلا الحياة الدنيا إذ هو لا يؤمن بالآخرة فلذا هو قد كيَّف حياته بحسب

---

(١) حذّر النبي ﷺ من القول بالظن وكذا العمل به ففي الصحيح قال (إيّاكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)!!

(٢) نفي العلم عنهم حجة قاطعة على ادعائهم لأنّ مالا يثبت بالعلم النقلي أو العقلي لا تقوم به حجة ولا يثبت به شيء وقد وبّخهم تعالى في قوله: (أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون)؟

(٣) قيل نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة، والآية نزلت قبل الأمر بالجهاد.

الدنيا فكل تفكيره في الدنيا، وكل عمله لها فيصبح بذلك أشبه بالآلة منه بالحيوان. وتصبح الحياة معه عقيمة الفائدة فلذا يجب الإعراض عنه وتركه إلى أن يأذن الله فيه بشيء.

وقوله تعالى ﴿ذلك مبلغهم[1] من العلم﴾ أي هذا الطلب للدنيا هو ما انتهى إليه علمهم فلذا هم آثروها عن الآخرة التي لم يعلموا عنها شيئاً.

وقوله تعالى في خطاب رسوله ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل[2] عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي إن ربك أيها الرسول هو أعلم منك ومن غيرك بمن ضل عن سبيله قدراً وأزلاً فضل في الحياة الدنيا أيضاً، وهو أعلم بمن اهتدى، قضاء وقدراً وواقعاً في الحياة الدنيا وسيجزى كلاً بما عمل من خير أو شر فلا تأس يا رسولنا ولا تحزن وفوّض الأمر إلينا فإنا عالمون ومجازون كل عامل بما عمل في دار الجزاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ أكثر الأمراض مردها إلى قلب لا يؤمن بالآخرة.

٢ـ أكثر الفساد في الأرض هو نتيجة الجهل وعدم العلم اليقيني.

٣ـ التحذير من الماديين فإنهم شر وخطر وواجب الإعراض عنهم لأنهم شر الخليقة.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾

---

(١) قال الفراء: صغّرهم وازدرى بهم أي: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

(٢) هذه الجملة تعليل لجملة: (فأعرض عمن تولى) والجملة متضمنة زيادة على التسلية للرسول ﷺ الوعد والوعيد فالوعد للمهتدين من الرسول والمؤمنين والوعيد للمشركين الضالين عن سبيل الهدى فإن جزاءهم الشقاء في دار الشقاء.

شـرح الكـلمات :

ولله ما في السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً.

ليجزى الذين أساءوا بما عملوا : ليعاقب الذين أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي.

ويجزى الذين احسنوا بالحسنى : ويثيب الذين أحسنوا في إيمانهم وعملهم الصالح بالجنة.

الذين يجتنبون كبائر الإثم : أي يتجنبون كبائر الذنوب وهو كل ذنب وُضع له حد أو لعن فاعله أو تُوعد عليه بالعذاب في الآخرة.

والفواحش الا اللمم : أي الـذنـوب القبيحة كالزنا واللواط وقذف المحصنات والبخل واللمم صغائر الذنوب التى تكفر باجتناب كبائرها.

هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض : أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض.

وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم : أي وأنتم في أرحام أمهاتكم لم تولدوا بعد.

فلا تزكـوا أنفسـكم : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب.

هو أعلم بمن اتقـى : أي منكم بمن اتقى منكم وبمن فجر فلا حاجة الى ذكر ذلك منكم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقرير ربوبيته تعالى المطلقة لكل شيء إذ تقدم في السياق قوله تعالى: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ وهنا قال عز من قائل ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقـاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً فهو يهدى من يشاء ويضل من يشاء هداية تابعة لحكمة وإضلال كذلـك يدل عليه قولـه تعـالى ﴿ليجـزي[1] الـذين أساءوا﴾ **أي إلى أنفسهم** بماعملوا من الشرك والمعـاصى يجـزيهم بالسوءوهي جهنم ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ **إلى أنفسهم** فزكوها وطهروها بالإيمان والعمل الصالح يجزيهم بالحسنى[2] التى هي الجنة وقوله ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم[3] والفواحش﴾ بيّن فيه وجه إحسان المحسنين إلى أنفسهم حين طهروها بالإيمان وصالح الأعمال ولم يلوثوها بأوضار كبائر الإثم من كل ما تُوعد فاعله بالنار أوبلَعْنٍ أو إقامة حدٍ، أو غضب الرب.

---

(١) هذه اللام هي لام التعليل إذ أوجد الله تعالى العوالم العلوية والسفلية من أجل الإنسان، وأوجد الإنسان للذكر والشكر فمن ذكر وشكر وهو المحسن فله الجنة ومن نسي وكفر فله السوأى وهي النار.

(٢) أي: بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، والحسنى صفة لموصوف محذوف وهي المثوبة.

(٣) (الذين يجتنبون) الخ صفة للذين أحسنوا أي: أحسنوا بفعل الواجبات واجتنبوا كبائر الذنوب والسيئات حتى لا تتلوث أرواحهم بعد تطهرها بالأعمال الصالحة.

والفواحش من زنا ولواط وبخل وقوله ﴿إلا اللمم[١] إن ربك واسع المغفرة﴾ أي لكن اللمم يتجاوز عنه وهو ما ألم به المرء وتاب منه أو فعله في الجاهلية ثم أسلم، وما كان من صغائر الذنوب كالنظرة والكلمة والتمرة. وقد فسر بقول الرسول ﷺ إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه. فمغفرة الله واسعة تشمل كل ذنب تاب منه فاعله كما تشمل كل ذنب من الصغائر.

وقوله تعالى ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ أعلم بضعفناوغرائزناوحاجاتناوعجزنامِنّانحن بأنفسنا ولذا تجاوز لنا عن اللمم الذى نُلِمُّ به بحكم العجز والضعف، فله الحمد والمنة. وقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم[٢]﴾ ينهى الرب تعالى عباده المؤمنين عن تزكية المرء نفسه بإدعاء الكمال والطهر الأمر الذي يكون فخراً وإعجاباً والإعجاب بالنفس محبط للعمل كالرياء والشرك فقوله ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ أي لا تشهدوا عليها بأنها زكيةبريئة من الذنوب والمعاصى وقوله ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي ان الله أعلم بمن اتقى منكم ربه فخاف عقابه فأدى الفرائض واجتنب المحرمات منا ومن المتقى نفسه فلذا لا تمدحوا أنفسكم له فإنه أعلم بكم من أنفسكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير ربوبية الله تعالى لكل شيء وهي مستلزمة لإلوهيته.

٢- تقرير حرية إرادة الله يهدى من يشاء ويضل ويعذب من شاء ويرحم إلا أن ذلك تابع لحكم عالية.

٣- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.

٤- تقرير قاعدة أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر.

٥- حرمة تزكية النفس وهى مدحها والشهادة عليها بالخير والفضل والكمال والتفوق.

---

(١) عن ابن عباس: هو الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه، واستشهد قائلا:

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأي عبد لك ما ألما

(٢) في الآية دليل على كراهة تزكية العبد نفسه أو تزكية غيره ففي الحديث الصحيح: (أنه لم يرض لهم تسمية برّة وقرأ: (فلا تزكوا أنفسكم) الآية: وقال سمّوها زينب) وفي الصحيح (أنه سمع رجلا يمدح آخر فقال له: ويلك قطعت عنق صاحبك - مرارا - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك) روى مسلم (أن رجلا أتى عثمان فأثنى عليه في وجهه، فجعل المقداد بن الأسود يحثو التراب في وجهه ويقول: أمرنا رسول الله أن نحثو التراب في وجوه المداحين).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

أفرأيت الذي تولى : أي عن الإسلام بعد ما قارب أن يدخل فيه .

أعطى قليلاً وأكدى : أي أعطى من زعم أنه يتحمل عنه عذاب الآخرة أعطاه ما وعده من المال ثم منع .

أعنده علم الغيب فهو يرى : أي يعلم أن غيره يتحمل عنه العذاب والجواب لا .

أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى : أي أم بل لم يخبر بما ورد في الصحف المذكورة وهي التوراة وعشر صحف كانت لابراهيم عليه السلام .

ألا تزر وازرة وزر أخرى : أي أنه لا تحمل نفس مذنبة ذنب غيرها .

وأنَّ ليس للانسان الا ما سعى : أي من خير وشر، وليس له ولا عليه من سَعي غيره شيء .

وأن سعيه سوف يرى : أي يُبصَر يوم القيامة ويراه بنفسه .

ثم يجـزاه الجزاء الأوفى : أي الأكمل التام الذي لا نقص فيه .

إن الى ربك المنتهى : أي المرجع والمصير إليه ينتهى أمر عباده بعد الموت ويجازيهم .

وأنه أضحك وأبكى : أي أفرح من شاء فأضحكه ، وأحزن من شاء فأبكاه .

وإنه أمات وأحيا : أمات في الدنيا وأحيا في الآخرة .

وإنه خلق الزوجـين : أي الصنفين الذكر والأنثى .

من نطفة إذا تمنى : أي من منى إذا تمنى تُصبُّ فى الرحم .

وأن عليه النشأة الأخرى : أي الخلقة الثانية للبعث والجزاء .

وأنه هو أغنى واقنى : أي وأنـه هو وحده أغنى بعض الناس بالكفاية ، واقنى بعض الناس بالمال المقتنىٰ المدخر للقنية .

وأنه هو رب الشعرى : أي خالقها ومالكها وهى كوكب خلف الجوزاء عبده المشركون .

وأهلك عادا الأولى : أي قوم هود عليه السلام .

وثمودا فما أبقى : أي أهلكها أيضا فلم يبق منهم أحداً وهم قوم صالح .

وقوم نوح من قبل : أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود وقوم لوط .

والمؤتفكة أهوى : أي وقرى قوم لوط اسقطها بعد رفعها الى السماء مقلوبة إلى الأرض إذ الائتفاك الانقلاب .

فغشاها ما غشى : أي بالعذاب ما غشى حيث جعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل .

معنى الآيـات :

إن هذه الآيات ترسم صورة لقرشي جاهل هو الوليد بن المغيرة إذ قدر له أن استمع الى قراءة رسول الله ﷺ فهش لها ودعاه الرسول فأسلم أو أوشك أن يسلم فعلم به أحد المشركين من شياطينهم فجاءه فعيره بإسلامه وترك دين آبائه فاعتذر له الوليد بأنه يخاف عذاب الله فقال له الشيطان القرشي وكان فقيراً والوليد غنياً أعطنى كذا من المال شهرياً أو اسبوعياً أو سنوياً وأنا اتحمل عنك العذاب الذي تخافه وعد إلى دينك واثبت عليه فوافق الوليد على العرض وأخذ

يعطيه المال. ثم أكدى[1] أي قطع عنه ما كان يعطيه ومنعه. فأنزل الله تعالى فيه هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ وتعليماً وتحذيراً لكل من تبلغه ويقرأها أو تقرأ عليه فقال تعالى في أسلوب حمل فيه السامع على التعجب: ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ أي عن الإسلام بعد أن قارب الوصول إليه والدخول فيه، ﴿وأعطى قليلاً﴾ أي من المال للشيطان المشرك الذي اتفق معه على أن يتحمل عليه العذاب مقابل مال يعطيه إياه أقساطاً، ﴿وأكدى﴾ أي قطع ومنع لأن الذي يحفر بئراً في أرض أحياناً تصادفه كدية من الأرض الصلبة يعجز عن الحفر فينقطع عن الحفر ويمتنع كذلك الوليد اعطى ثم امتنع وهومعنى اكدى أي انتهى الى كدية من الأرض الصلبة.

وقوله تعالى: ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى[2]﴾ أي أن المرء في امكانه أن يتحمل عذاب غيره يوم القيامة والجواب لا علم غيب عنده لا من كتاب ولا من سنة، أم لم ينبأ بما في صحف موسى وهي التوراة وابراهيم الذي وفي لربه في كل ما عهد به إليه من ذبح ولده حيث تله للجبين ليذبحه، ومن بناء البيت والهجرة والختان بالقدوم إلى غير ذلك من التكاليف الشاقة. أي ألم ينبأ أي يخبر هذا الرجل الجاهل بما في صحف موسى بن عمران نبي بنى إسرائيل وإبراهيم أبو الأنبياء ثم بين تعالى ما تضمنته تلك الصحف من علم فقال:

● ألا تزر[3] وازرة وزر أخرى أن لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى.

● وأن ليس[4] للإنسان من ثواب يوم القيامة إلا ما سعى في تحصيله بنفسه وهذا لا يتعارض مع قول الرسول ﷺ في الصحيح إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به إذ هذه الثلاثة أمور من عمل الإنسان وسعيه الولد انجبه ورباه والصدقة الجارية أوقفها بنفسه والعلم تعلمه وبثّه فى الناس وعلمه فالجميع من سعيه وكسبه.

● وأن سعيه أى عمله في الدنيا من خير وشر سوف يرى علانية ويجزى به خيراً كان أو شراً والجزاء الأوفى أي الأكمل الأتم.

---

(١) يقال: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في حفره كدية أو جبلا فلا يمكنه أن يحفر، ثم استعمل فيمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره. قال الحطيئة:

أعطى قليلا ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

(٢) الاستفهام إنكاري أي: ينكر عليه ما ادعاه من تحمل العذاب عن غيره، وفيه معنى التعجب فيما ادعاه كأنه يعلم الغيب ويشاهده، وليس له ذلك.

(٣) (أن لا تزر وازرة) أن: هي المخففة من الثقيلة، وموضعها جائز أن يكون حرفا بدلا من (ما) في قوله (بما في صحف) وجائز أن يكون في موضع رفع على إضمار: هو، وهو ما يفهم من التفسير.

(٤) يظهر أن هذا العام خصصته السنة فقد أجاز النبي ﷺ الحج والعمرة عن الغير كما أجاز الصدقة كذلك وقد يقال إن الذي يحج أو يتصدق عن غيره) هو بمثابة متوسل إلى الله تعالى طالب منه المغفرة والرحمة فإذا استجاب الله تعالى له غفر للميت ورحمه وهذا جزاء كل عمل صالح.

● وأن إلى ربك المنتهى أي إليه تصير أمور عباده بعد الموت ويحكم فيها ويجزيهم بها.

● وأنه هو أضحك[1] وأبكى أي أفرح من شاء وأحزن فضحك الفرح وبكى الحزن. أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار. زيادة على من أفرح في الدنيا ومن أحزن.

● وأنه أمات وأحيا أمات عند نهاية أجل العبد وأحياه في قبره ويوم نشره وحشره وأحيا بالإيمان وأمات بالكفر وأمات بالقحط وأحيا بالمطر.

● وأنه خلق الزوجين أي الصنفين الذكر والأنثى من سائر الحيوانات من نطفة أي قطرة المنى إذا تمنى[2] أى تصب في الأرحام.

● وأن عليه تعالى النشأة الأخرى أي هو الذي يقوم بها فيحيي الخلائق بعد موتهم يوم القيامة.

● وأنه هو أغنى وأقنى أي أغنى بعض الناس فسد حاجتهم وكفاهم مؤونتهم، وأقنى آخرين أعطاهم مالاً كثيراً فاقتنوه قنيةً.

● وأنه هو رب الشعرى[3] ذلك الكوكب الذي يطلع خلف الجوزاء فالله خالقه ومالكه ومسخره وقد عبده الجاهلون واتخذوه رباً وإلهاً وهو مربوب مألوه.

● ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى[4]﴾ قوم هودأرسل عليهم ريحاً صرصراً ما أتت على شيء إلا جعلته كالرميم، عاد تلك الأمة القائلة من أشد منا قوة دمر الله عليهم فأهلكهم أجمعين.

● وثمودا فما[5] أبقى أي وأهلك ثمود قوم صالح بالحجر فما أبقى منهم أحداً.

● وقوم نوح من قبل عاد وثمود أهلكهم إنهم كانوا هم أظلم من غيرهم وأطغى.

● والمؤتفكة أي[6] قرى قوم لوط سدوم وعموره أهلكهم فرفع تلك القرى الى عنان السماء ثم أهوى بها الى الأرض وأرسل عليهم حجارة من طين من سجيل فغشى تلك المدن من العذاب الأليم ما غشى[7] عذاب يعجز الوصف عنه هذا هو الله رب العالمين الذي اتخذ الجهال له أنداداً فعبدوها معه.

---

(١) قيل: لا يوجد في المخلوقات من يضحك ويبكي إلا الإنسان وقيل إن القرد يضحك ولا يبكي، وإن البعير يبكي ولا يضحك. والله أعلم.

(٢) قيل: سميت منى: منى لأنها تمنى فيها الدماء أيام التشريق وهو كذلك.

(٣) قال القرطبي: اختلف فيمن كان يعبد كوكب الشعرى فقيل: كانت تعبده حمير وخزاعة وقيل: إن أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذا كان المشركون يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة لما خالفهم ودعا إلى التوحيد.

(٤) قرأ الجمهور (عاداً) بإظهار تنوين عاد، وقرأ ورش (عاداً الأولى) بحذف همزة الأولى بعد نقل حركتها إلى اللام المعرفة وادغام نون التنوين من عادٍ في لام (لولى).

(٥) قرأ الجمهور (وثموداً) بالتنوين وقرأ حفص (وثمود) وقرأ حفص وحمزة بدون تنوين على إرادة اسم القبيلة.

(٦) نصب المؤتفكة، على الاشتغال وأهوى. أي جعلها هاوية والإهواء: الإسقاط وجيء بصلتها من مادة وصيغة الفعل الذي أسند إليها لأجل التهويل، والذي غشاها: هو مطر من الحجارة المحماة.

(٧) (ما) موصول فاعل (غشاها).

هذا هو الله الإله الحق الذي اتخذ الناس من دونه آلهة لا تعلم ولا تحكم ولا تقدر.

هذا هو الله العزيز المنتقم لأوليائه من أعدائه يشقي عبداً عاداه ويسعد آخر والاه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- تقرير ربوبية الله تعالى وإثبات ألوهيته بالبراهين والحجج التى لا ترد بحال.

٢- تقرير عدالة الله تعالى في حكمه وقضائه.

٣- مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.

٤- تقرير حقيقة علمية وهي أن العمل الذي يزكى النفس أو يُدنسها هو ذاك الذي يباشره المرء بنفسه وباختياره وقصده ونيته.

٥- تحذير الظلمة والطغاة من أهل الكفر والشرك من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الدّمار والخسران.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

شـرح الكلـمات :

فبأي آلاء ربك : أي فبأيِّ أَنْعُم ربك عليك وعلى غيرك أيها الإنسان.

تتمـارى : أي تتشكك أو تكـذب.

هذا نذير من النذر الأولى : أي هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولى أي رسول مثل الرسل الأولى الذين ارسلوا الى أقوامهم.

أزفت الآزفة : أي قربت القيامة ووصفت بالقرب لقربها فعلاً.

ليس لها من دون كاشفة : أي ليس لهـا أي للقيامـة من دون الله نفس كاشفة لها مظهرة لوقتها، إذ لا يجليها لوقتها الا الله سبحانه وتعالى.

أفمن هذا الحديث : أي القـرآن.

تعجبون وتضحكون	: أي تعجبون تكذيباً به، وتضحكون سخرية منه كذلك.
وأنتم سـامدون	: أي لاهون مشتغلون بالباطل من القول كالغناء والعمل كعبادة الأصنام والأوثان.
فاسجـدوا لله	: أي الذي خلقكم ورزقكم وكلأكم ولا تسجدوا للأصنام.
واعبـــدوا	: أي وذلوا لله واخضعوا له تعظيماً ومحبة ورهبة فإنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره.

معنى الآيـات :

بعد ذلك العرض العظيم لمظاهر القدرة والعلم والحكمة وكلها مقتضية للربوبية والألوهية لله سبحانه وتعالى خاطب الله تعالى الإنسان فقال ﴿فبأي آلاء ربك[1]﴾ أي بعد الذي عرضنا عليك في هذه السورة من مظاهر النعم والنقم وكلها في الباطن نعم فبأي آلاء ربك تتمارى[2] أي تتشكك أو تكذب، وكلها ثابتة أمامك لا تقدر على إنكارها واخفائها بحال من الأحوال.

ثم قال تعالى: ﴿هذا نذير[3] من النذر الأولى﴾ يشير الى أحد أمرين إمّا إلى ما في هذه السورة والقرآن كله من نذر أو إلى النبي محمد ﷺ وكلا الأمرين حق القرآن نذير ومحمد نذير من النذر الأولى التي سبقته وهم الرسل، أو ما خوّفت به الرسل أقوامها من عذاب الله تعالى العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة. ألا فاحذروا أيها الناس عاقبة إعراضكم.

. وقوله تعالى: ﴿ازفت الآزفة﴾ يخبر تعالى أن القيامة قد آن أوانها وحضرت ساعتها إنها لقريبة جداً. ليس لها من دون الله نفس كاشفة تكشف الستار عنها وتظهرها بل تبقى مستورة لحكمة إلهية حتى تفاجأ بها البشرية وويل يومئذ للمكذبين.

وقوله تعالى توبيخاً للمشركين والمكذبين: ﴿أفمن هذا الحديث﴾ أي غفلتم كل هذه الغفلة فتعجبـون من هذا الحـديث الإلهي والكلام الرباني وهو القرآن. ﴿وتضحكون﴾ كأن قلوبكم أصابها الموات، ولا تبكون على أنفسكم وقد بعتموها للشيطان ليقدمها إلى نـار جهنم حطباً،

---

(١) فبأي نعم ربك تشك أيها الإنسان المكذّب، والآلاء: النعم، واحدها إلىً وألىً وإلْي وألو كدلو.

(٢) التماري: التشكك، وهو تفاعل من المرية، ولا يصح أن يكون المراد بالمخاطب النبي ﷺ لأن الرسول ﷺ لا يشك أبداً، وإن قاله بعضهم، ورده إمام المفسرين ابن جرير الطبري.

(٣) حقيقة النذير: أنه المخبر عن حدثٍ مضر بالمخبَر، وجمعه: نُذُر ويطلق النذير على الإنذار فهو إذاً اسم مصدر، ومنه: (فستعلمون كيف نذير) أي: إنذاري لكم.

وأنتم سامدون[1] ساهون لاهون تُغنون وتلعبون. ويلكم أنقذوا أنفسكم فاسجدوا لله واعبدوا[2]، فإنه لا نجاة لكم من العذاب الأليم إلا بالاطراح بين يديه اسلاماً له وخضوعاً. تعبدونه بتوحيده في عبادته، وتسلمون له قلوبكم ووجوهكم فلا يكون لكم غير الله مألوها ومعبوداً تعظمونه وتحبونه وتتقربون إليه بفعل محابه وترك مكاره.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان قرب الساعة وخفاء ساعتها عن كل خلق الله حتى تأتي بغتة.

٢ـ ذمّ الضحك مع الانغماس في الشهوات.

٣ـ الترغيب في البكاء من خشية الله.

٤ـ كراهية الغناء واللهو واللعب.

٥ـ مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية لمن يتلوها ولمن يستمع لها، وهي من عزائم السجدات في القرآن الكريم، ومن خصائص هذه السجدة أن المشركين سجدوها مع رسول الله ﷺ حول الكعبة كما في الصحيح.

سُورَةُ القَمَرِ

مكيـة

وآياتها خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ

(١) السمود: الغناء بلغة حمير والمعنى: فرحون بأنفسكم تتغنون بالأغاني لقلة اكترائكم بما تسمعون من القرآن، وفعله: سمد يسمد والأمر: اسْمُدْلنا أي غن لنا.

(٢) جائز أن يراد بالسجود: الصلاة والعبادة والتوحيد إذ كانت الصلاة يومئذ قد فرضت، وجائز أن يكون المراد بالسجود الخضوع لله والإذعان له بالإيمان والتوحيد بعد ترك الشرك والكفر، وصح أن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة سجد فسجد المشركون بسجوده متأثرين بما أسمعهم الشيطان من مدح آلهتهم بقوله: تلك الغرانيق العلا. وإن شفاعتهن لترتجى.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

شـرح الكلـمات :

اقتربت الساعة وانشق القمر : أي قربت القيامة، وانفلق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس.

وإن يروا آية يُعرضوا أي وإن ير كفار قريش آية أي معجزة يعرضوا عنها ولا يلتفتوا إليها.

ويقولوا سحر مستـمر : أي هذا سحر مستمر أي قوى من المرّة أو دائم غير منقطع.

وكل أمر مستقر : أي وكل من الخير أو الشر مستقر باهله في الجنة أو في النار.

ولقد جاءهم من الأنباء : أي من أنباء الأمم السالفة مما قصه القرآن.

ما فيه مزدجـر : أي جاءهم من الأخبار ما فيه ما يزجرهم عن التكذيب والكفر.

حكمـة بالغـة : أي الذي جاءهم من الأنباء هو حكمة بالغة أي تامة.

فما تغن النـذر : أي عن قوم كذبوا واتبعوا أهواءهم لا تغن شيئاً.

فتولَّ عنـهم : أي لذلك فأعرض عنهم.

يوم يدعو الداع إلى شيء نكر : أي يدع الداع إلى موقف القيامة.

يخرجون من الاجداث : أي من القبور.

مهطعين الى الداع : أي مسرعين إلى نداء الداع.

هذا يوم عسر : أي صعب شـديد.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿اقتربت[1] الساعة وانشق القمر﴾ يخبر تعالى أن ساعة نهاية الدنيا وفنائها وقيام القيامة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق معجزة للنبى ﷺ وبعثة النبي ﷺ علامة من علامات الساعة، وانشقاق القمر كان بمكة حيث طالبت قريش النبي ﷺ بمعجزة تدل على نبوته فسأل الله تعالى انشقاق القمر فانشق فلقتين على جبل أبى قبيس فلقة فوق الجبل وفلقة وراءه فشاهدته قريش ولم تؤمن وهو معنى قوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[2]﴾ أي هذا سحر قوى شديد. قال تعالى ﴿وكذبوا﴾ أي رسولنا وما جاءهم به من التوحيد والوحى واتبعوا في هذا التكذيب أهواءهم لا عقولهم ولا ما جاء به رسولهم. وقوله تعالى ﴿وكل أمر مستقر[3]﴾ أي وكل أمر من خير أو شر مستقر بصاحبه إما في الجنة أو النار. وقوله تعالى ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أي من أخبار الأمم السابقة وكيف أهلكها الله بتكذيبها رسلها وإصرارها على الشرك والكفر، وذلك في القرآن الكريم ما فيه مزدجر[4] أي جاء من الأخبار الواعظة المذكرة من قصص الأنبياء مع أممهم ما فيه زاجر عن التكذيب والمعاصى هو[5] حكمة بالغة تامة، والحكمة القول الذي يمنع صاحبه من التردى والهلاك بصرفه عن أسباب ذلك.

وقوله تعالى ﴿فما تغن[6] النذر﴾ أي عن قوم كذبوا بالحق لما جاءهم واتبعوا أهواءهم ولم يتبعوا هدى ربهم ولا عقولهم. إذاً فتول عنهم يا رسولنا واتركهم إلى حكم الله فيهم. وقوله: ﴿يوم يدعو الداع الى شيء نكر[7]﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم يدعو الداع إلى شيء نكر وهو موقف القيامة خشعاً أبصارهم وكل أجسامهم وانما ذكرت الأبصار لأنها أدل على الخشوع من سائر الاعضاء ﴿يخرجون من الأجداث﴾ أي القبور جمع جدث وهو القبر كأنهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم وانتشارهم مهطعين الى الداع أي مسرعين الى داع الله الى ساحة الموقف وفصل

---

(١) إنها بالنسبة لما مضى من أيام الدنيا لقريبة جداً إذ أكثر عمر الدنيا قد انقضى، خطب يوماً رسول الله ﷺ فقال (ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى) وما نرى من الشمس إلا يسيرا.

(٢) (مستمر): يكون بمعنى ذاهب من قولهم مرّ الشيء واستمر: إذا ذهب ويكون بمعنى محكم قوي شديد مأخوذ من المرة وهي القوة، وكونه مستمراً نافذاً أولى بالمعنى.

(٣) وجائز أن يكون (مستقر) في أم الكتاب: كائن لا محالة أو أن أمر النبي ﷺ إلى استقرار بانتصاره على الباطل وأهله فيكون في الخبر بشرى للنبي ﷺ.

(٤) أصل: (مزدجر) مزتجر من زجرته فانزجر فقلبت التاء دالاً لتقارب مخرجي التاء والدال، أي: جاءهم من الأخبار الواعظة ما يزجرهم عن الكفر، لو قبلوه واتعظوا به.

(٥) أي: جاءهم من مواعظ القرآن وزواجره ما هو حكمة بالغة إلى المقصود مفيدة لصاحبها.

(٦) جائز أن تكون (ما) نافية أي: لا تغني النذر شيئاً عمن تلك حاله، وجائز أن تكون استفهامية أي: أي شيء تغني النذر مع الإصرار على الكفر والتوغل في الباطل، والاستفهام للنفي أيضاً.

(٧) (نكر) ما تنكره النفوس وتكرهه، ونُكر: وزنه نادر نحو أُنُف: بمعنى جديد.

القضاء. يومئذ يقول الكافرون هذا يوم عَسِر وهو كذلك عسير شديد العسر ولكن على المؤمنين يسير غير عسير. كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير مفهومه أنه على المؤمنين يسير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ ذكر بعض علامات الساعة. كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر معجزة له ﷺ.

٣ـ التنديد باتباع الهوى، والتحذير منه فإنه مهلك.

٤ـ عدم جدوى النذر لمن يتنكر لعقلة ويتبع هواه.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

شرح الكلمات :

فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون : أي كذبوا نوحا عبد الله ورسوله وقالوا هو مجنون.

وازدجر : أي انتهروه وزجروه بالسب والشتم.

فدعا ربه اني مغلوب فانتصر : أي فسأل ربه قائلاً رب إني مغلوب فانتصر أي لي.

بماء منهمر : أي منصب انصبابا شديدا.

وفجرنا الأرض عيوناً : أي تتبع نبعاً.

فالتقى الماء : أي ماء السماء وماء الأرض.

على أمر قد قدر : أي في الأزل ليغرقوا به فيهلكوا.

وحملناه على ذات ألواح ودسر : أي حملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ودسر وهو ما يدسر به الألواح من مسامير وغيرها. واحد الدسر دسار ككتاب.

تجرى بأعيننا : أي بمرأىً منا أي محفوظة بحفظنا لها.

جزاء لمن كان كفر : أي أغرقناهم انتصاراً لمن كان كفر وهو نوح كفروا نبوته وكماله.

ولقد تركناها : أي إغراقنا لهم على الصورة التى تمت عليها.

آيــة : أي لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر الى اليوم.

فهل مــن مدّكر : أي معتبر ومتعظ بها.

فكيف كان عذابى ونذر : أي ألم يكن واقعاً موقعه.

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلناه للحفظ، وهيأناه للتذكير.

فهل من مدّكر : أي فهل من متعظ به حافظ له متذكر.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ يخبر تعالى مسليا رسوله مخوفاً قومه فيقول ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قريش قوم نوح وهو أول رسول أرسل الى قوم مشركين فكذبوا[1] عبدنا رسولنا نوحاً كذبوه في دعوة التوحيد كذبوه في دعوة الرسالة، ولم يكتفوا بتكذيبه فقالوا مجنون[2] أي هو مجنون ﴿وازدجر﴾ أي انتهروه وزجروه ببذيء القول وسيّىء الفعل فدعا أي نوح ربه قائلا ﴿أني مغلوب فانتصر﴾ لي ياربي، فاستجاب الله تعالى له ففتح أبواب السماء بماء منهمر[3] أي منصب انصباباً شديداً، وفجرنا الأرض عيوناً نابعة من الأرض فالتقى[4] الماء النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿على أمـر قد قدر أي قدره الله في الأزل وقضى بأن يهلكهم بمـاء الـطوفـان وقـولـه تعـالى ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ والدسر جمع واحده دسار ككتاب وكتب وهو ما تُدْسَرُ به الألواح من مسامير وغيرها وقوله تعالى ﴿تجرى﴾ وهي حاملة لعوالم شتى ﴿بأعيننا﴾ أي بمرأىً منّا محفوظة بحفظنا لها وقوله ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أي أغرقناهم انتصاراً لعبدنا نوح وجزاء له على صبره مع

---

(١) أخبر تعالى أن قوم نوح كذبوا الرسل. وكان في الكلام اجمال ففصّله بقوله: (فكذبوا عبدنا) أي: نوحاً، وقالوا مجنون، وفيه إشارة إلى أن المكذب برسول يعتبر مكذباً بكل الرسل.

(٢) (مجنون) خبر لمبتدأ محذوف أي: هو مجنون. والجملة مقولة القول.

(٣) (منهمر) أي: كثير والهمر: الصب، وكان انهمار الماء بدون سحاب وقبل استمر أربعين يوماً.

(٤) التقى الماءان النازل من السماء والنابع من الأرض (على أمر قد قدر) أي: على مقدار معيّن لم يزد أحدهما على الآخر.

طول الزمن لقد أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً. وقوله ﴿ولقد تركناها آية﴾ أي تلك الفعلة التي فعلنا بهم وهي إغراقنا لهم تركناها آية للاعتبار لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر إلى اليوم.

وقوله تعالى ﴿فهل من مدّكر﴾[1] أي معتبر ومتعظ بها. وقوله ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾[2] ألم يكن واقعاً موقعه ؟ بلى. وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر. فهل من مدّكر؛ أي فهل من متعظ به حافظ له والاستفهام للأمر أي فاتعظوا به واحفظوه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تسلية الرسول ﷺ.

٢ـ تحذير قريش من الاستمرار في الكفر والمعاندة.

٣ـ تقرير حادثة الطوفان والتي لا ينكرها الا سفيه لم يحترم عقله.

٤ـ فضل الله على هذه الأمة بتسهيل القرآن للحفظ والتذكر.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمـات :

كذبت عاد : أي نبيها هوداً عليه السلام فلم تؤمن به ولا بما جاء به.

فكيف كان عذابي ونذر[3] : أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم وإنذارى لهم كان أشد ما يكون.

إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً: أي ريحا عاتية ذات صوت شـديد.

---

(١) أصل مدّكر مُتذكر أبدلت التاء ذالاً كما أبدلت الذال دالاً وأدغمت الدالان الأولى في الثانية فصارت مدكر أي معتبر متعظ.

(٢) ونذر: تقدم أنه اسم مصدر كالإنذار.

(٣) قال القرطبي: وقعت نذر في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحالين أي: في الوصل والوقف، وقرأها ورش في الوصل لا غير. وحذفها الباقون ولا خلاف في حذف النون في قوله: (فما تغن النذر) والواو في قوله: (يدع) وأما الياء من (الداع) أثبتها ورش وأبو عمرو في الوصل وحذفها الباقون.

في يوم نحس مستمر : أي في يوم نحسٍ أي شؤم مستمر دائم الشؤم قويةٍ حتى هلكوا.

تنزع الناس كأنهم أعجاز[1] : أي تقتلعهم من الحفر التى اندسوا فيها وتصرعهم فتدق رقابهم.

نخـل منقـعر : منفصلة أجسامهم كأنهم والحال كذلك أعجاز أي أصول نخل منقلع.

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلنا القرآن للحفظ والتذكير والتذكر به.

فهل من مدّكر : أي تذكروا يا عباد الله بالقرآن فإن منزله سهّله للتذكير.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كذبت عادٌ﴾ هذا القصص الثاني في هذه السورة يذكر بإيجاز تسلية لرسول الله ﷺ وتهديداً لقومه المكذبين وذكرى للمؤمنين فقال تعالى كذبت عاد أي قوم هود كذبوا رسول الله هودا عليه السلام وكفروا بما جاءهم به من التوحيد والشرع وقالوا ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأرسل تعالى عليهم ريحاً صرصراً ذات صوت شديد في يوم نحس[2] وكان مساء الاربعاء لثمان خلون من شهر شوال مستمر بشدة وقوة وشؤم عليهم مدة سبع ليال وثمانية أيام تنزع تلك الريح الناس وقد دخلوا حفراً تحصنوا بها فتنزعهم منها نزعاً وتخرجهم فتصرعهم فتدق رقابهم فتنفصـل عن أجسادهم فيصيرون والحال هذه لطول أجسامهم كأنهم أعجاز نخل منقعر[3] أي منقلع ساقط على الأرض. وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي ونذر؟﴾ هذا الاستفهام للتهويل أي إنه كان كأشد ما يكون العذاب والإنذار. وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي سهلناه وهيأناه بفضل منا ورحمة للحفظ ولولا هذا التسهيل ما حفظه أحد، وهيئناه للتذكر به. فهل من مدّكر أي من متذكر والاستفهام للأمر كأنما قال: فاحفظوه وتذكروا به.

---

(١) جملة: (كأنهم اعجاز نخل منقعر) في موضع نصب على الحال من الناس.

(٢) النحس: سوء الحال، وقد انجرّ إلى المسلمين بواسطة عقائد المجوس التشاؤم بيوم الأربعاء من آخر الشهر، ولا تشاؤم في الإسلام والنحس كان على الكافرين الذين أهلكهم الله تعالى فلا ينسحب النحس على الناس طوال الحياة.

(٣) (منقعر) قال القرطبي: سئل المبرّد عن ألف مسألة من جملتها قيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة) و(جاءتها ريح عاصف) وقوله: (أعجاز نخلٍ خاوية) و (أعجاز نخل منقعر)؟ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً أو إلى المعنى تأنيثاً. أ. هـ.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان عقوبة المكذبين لرسل الله وما نزل بهم من العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

٢ـ بيان أن قوة الانسان مهما كانت أمام قوة الله تعالى هي لا شيء ولا ترد عذاب الله بحال.

٣ـ بيان تسهيل الله تعالى كتابه للناس ليحفظوه ويذكروا به، ويعملوا بما جاء فيه ليكملوا ويسعدوا في الحياتين.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

شـرح الكلمـات :

كذبت ثمود بالنذر : أي كذبت قبيلة ثمود وهم قوم صالح بالحجر من الحجاز بالرسل لأن النذر جمع نذير وهو الرسول كما هو هنا.

فقالوا أبشر منا واحداً نتبعه : أي كيف نتبع بشراً واحداً منا إنكاراً منهم للايمان بصالح عليه السلام.

إنا إذاً لفى ضلال وسعر : أي إنا إذا اتبعناه فيما جاء به لفي ذهاب عن الصواب وجنون.

أألقى عليه الذكر من بيننا : أي لم يوح إليه من بيننا أبداً وإنما هو كذاب أشر.

بـل هو كذاب أشر : أي فيما ادّعى أنه ألقى إليه من الوحي أشرٌ بمعنى متكبر.

ستعلمون غـدا : أي في الآخـرة.

من الكذاب الأشـر : وهو هم المعذبون يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.

إنا مرسلو الناقة فتنة لهم : أي إنا مخرجو الناقة من الصخر ومرسلوها لهم محنة.

فارتقبهم واصطبر : أي انتـظر وراقب ماذا يصنعون وما يصنع بهم، واصبر على أذاهم.

ونبئهم أن الماء قسمة بينهم : أي ماء بئرهم مقسوم بينهم وبين الناقة فيوم لها ويوم لهم.

كل شرب محتضر : أي كل نصيب من الماء يحضره قومه المختصون به الناقة أو ثمود.

فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر : أي فملوا ذلك الشرب وسئموا منه فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف ليقتلها فتعاطى السيف وتناوله فعقر الناقة أي قتلها.

إناأرسلناعليهم صيحةواحدة : هي صيحة جبريل صباح السبت فهلكوا.

فكانوا كهشيم المحتظر : أي صاروا بعـد هلاكهم وتمـزق أجسـادهم كهشيم المحتظر وهو الرجل يجعل في حظيرة غنمه العشب اليابس والعيدان الرقيقة يحظر بها لغنمه يحفظها من البرد والذئاب.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ هذا القصص الموجز الثالث وهو قصص ثمود قوم صالح فقال تعالى في بيانه ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي التى أنذرها نبيها صالح وهي ألوان العذاب كما كذبته فيما جاء به من الرسالة فقالوا في تكذيبهم له عليه السلام: ﴿أبشراً منا واحدا نتبعه﴾[1] أي كيف يتم ذلـك منا ويقـع؟ عجبٌ هذا إنـا إذاً لفي ضلال وسعـر إنـا إذا اتبعنـاه وهـو واحـد لا غير ومنـا أيضـا فهو كغيره من أفراد القبيلة لفى بعد عن الصواب وذهاب عن كل رشد، وسُعُر[2] أي وجنون أيضا،

(١) أي: أنتبع فردا ونترك جماعة؟ قرأ الجمهور: (بشراً) منصوباً على الاشتغال، ورفعه بعضهم على الابتداء، وواحد: نعت يتبع المنعوت في النصب والرفع.

(٢) السعر: الجنون، والمسعور: المجنون قال الشاعر:

تخال بها سُعراً إذا السُّفر هزها ... ذميلٌ وايقاع من السير متعب

يصف ناقته بالسعر لشدة نشاطها.

وقالوا مستنكرين متعجبين ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر﴾ أي متكبر.

قال تعالى رداً عليهم سيعلمون غدا يوم ينزل بهم العذاب ويوم القيامة أيضا من الكذاب الأشر أصالح أم هم، لن يكونوا إلا هم فهم الذين أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وقوله تعالى: ﴿إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم﴾ أي كما طلبوا إذ قالوا لصالح إن كنت رسول الله حقا فسله يخرج لنا من هذه الصخرة في هذا الجبل ناقة فقام يصلى ويدعو ومازال يصلى ويدعو حتى تمخض[1] الجبل وخرجت منه ناقة عشراء آية في القوة والجمال، وقال لهم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم أليم. ومعنى فتنة لهم أي امتحاناً واختباراً لهم هل يؤمنون أو يكفرون، ولذا قال تعالى لصالح فارتقبهم واصطبر[2] أي انظر إليهم وراقبهم من بُعد واصطبر على أذاهم. ونبئهم أي أخبرهم بأمرنا أن الماء ماء بئرهم الذي يشربون منه قسمة بينهم[3] أي مقسوم بينهم للناقة يوم وللقبيلة يوم، وقوله كل شرب[4] محتضر أي كل نصيب خاص بصاحبه يحضره دون غيره. وما تشربه الناقة من الماء نحيله إلى لبن خالص وتقف عند كل باب من أبواب المدينة ليحلبوا من لبنها وطالت المدة وملوا اللبن والسعادة فنادوا صاحبهم غدار بن سالف عاقر الناقة فتعاطى[5] السيف وتناوله وعقرها بضرب رجليها بالسيف ثم ذبحها. وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي﴾ الذي أنزلته بهم بعد عقر الناقة كيف كان إنذارى لهم أما العذاب فقد كان أليماً وأما الإنذار فقد كان صادقاً، والويل للمكذبين. وهذا بيانه قال تعالى ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام فانخلعت لها قلوبهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿كهشيم المحتظر﴾[6] أي ممزقين محطمين مبعثرين هنا وهنا كحطب وخشب وعشب الحظائر التي تجعل للأغنام.

---

(١) قال القرطبي: روي أن صالحاً صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عيّنوها عن سنامها، فخرجت ناقة عشراء وبراء.

(٢) (واصطبر) أصل الكلمة واصتبر قلبت التاء طاءً موافقة للصاد في الإطباق.

(٣) روي عن جابر قال: لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله ﷺ تبوك قال: (أيها الناس لا تسألوا في هذه الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيّهم أن يبعث الله لهم ناقة فبعث الله عز وجل إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غِبها).

(٤) الشرب بكسر الشين: الحظ من الماء، ومعنى محتضر: أي يحضره من هو له دون غيره إذ هو من الحضور خلاف الغياب.

(٥) (فتعاطى) مضارع عاطاه معاطاة وهو مشتق من عطا يعطو: إذا تناول ما يطلبه من شيء كأنهم كانوا مترددين في عقرها كل واحد يريد إعطاء غيره آلة العقر حتى أخذها غدار وعقرها.

(٦) المحتظر: اسم فاعل: الرجل الذي يتخذ الحظائر لغنمه من الحطب والعيدان وأغصان الشجر.

وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾ يدعو الله تعالى هذه الأمة الى كتابه قراءة وحفظاً وتذكراً فإنه مصدر كمالهم وسعادتهم لا سيما وقد سهله وهيأه لذلك. ولا يهلك على الله الا هالك.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- بيان سنة الله في إهلاك المكذبين.

٢- بيان أن الآيات لا تستلزم الإيمان والا فآية صالح من أعظم الآيات ولم تؤمن بها قوم ثمود.

٣- أشقى أمة الإسلام عقبة بن أبي مُعيط الذي وضع سلى الجزور على ظهر الرسول ﷺ وهو يصلي حول الكعبة، وعاقر ناقة صالح غدار بن سالف كما جاء في الحديث.

٤- دعوة الله الى حفظ القرآن والتذكير به فإنه مصدر الإلهام والكمال والإسعاد.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

شـرح الكلمـات :

كذبت قوم لوط بالنذر : كذبت قوم لوط بالنذر التى أنذرهم بها وخوفهم منها لوط عليه السلام.

إنا أرسلنا عليهم حاصبا : أي ريحاً ترميهم بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة فهلكوا.

إلا آل لوط نجيناهم بسحر : أي بِنتاهُ وهو معهم نجاهم الله تعالى من العذاب حيث غادروا البلاد قبل نزول العذاب بها.

نعمة من عندنا : أي إنعاماً منا عليهم ورحمة منا بهم.

كذلك نجزى من شكر : أي مثل هذا الجزاء بالنجاة من الهلاك نجزى من شكرنا بالإيمان والطاعة.

ولقد أنذرهم بطشتنا : أنذرهم لوط أي خوفهم أخذتنا إياهم بالعذاب.

فَتَمَارَوْاْ بالنذر : أي فتجادلوا وكذبوا بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها.

ولقد راودوه عن ضيفه[1] : أي أن يخلى بينهم وبين ضيفه وهم ملائكة ليخبثوا بهم.

فطمسنا أعينهم : أي ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فكانت كباقى وجوههم.

ولقد صبحهم بكرة عذابٌ مستقر: أي نزل بهم بكرة صباحاً عذاب مستقر لا يفارقهم أبداً هلكوا به في الدنيا ويصحبهم في البرزخ ويلازمهم في الآخرة.

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلناه للحفظ والتذكر به والعمل بما فيه.

فهل من مدّكر؟ : أي من متذكر فيعمل بما فيه فينجو من النار ويسعد في الجنة.

ولقد جاء آل فرعون النذر : أي قوم فرعون الإنذارات على لسان موسى وهرون عليهما السلام.

كذبوا بآياتنا كلها : أي فلم يؤمنوا بل كذبوا بآياتنا التسع التى آتيناها موسى.

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر : أي فأخذناهم بالعذاب وهو الغرق أخذ قوى مقتدر على كل شيء لا يعجزه شيء.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر موجز لقصص عدد من الأمم السابقة تسلية لرسول الله ﷺ

---

(١) ليخبثوا بهم، أي: بإتيانهم الفاحشة، في القاموس: الخبث: الزنا، وخبث ككرم: إذا زنى وخبثت المرأة: إذا زنت فهي خبيثة، والزاني: خبيث.

وتهـديداً للمشـركين المصـرين على الشرك بالله والتكذيب لرسول الله ﷺ، وانذاراً لأهل الشرك والمعاصى في كل زمان ومكان فقال تعالى ﴿كذبت قوم لوط﴾[1] وهـم أهل قرى سدوم[2] وعمورة كذبوا رسولهم لوطاً بن أخى إبراهيم عليه السلام هاران. كذبوا بالنذر وهى الآيات التى أنذرهم لوط بها وخوفهم من عواقبها.

وقـوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا﴾[3] أي لما كذبوا بالنذر وأصروا على الكفر وإتيان الفاحشة ارسلنا عليهم حاصباً ريحاً تحمل الحصباء الحجارة الصغيرة فأهلكناهم بعد قلب البلاد بجعل عاليها سافلها. وقوله تعالى ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾[4] والمراد من آل لوط لوط ومن آمن معه من ابنتيه وغيرهما نجاهم الله تعالى بسحر وهو آخر الليل. وقوله ﴿نعمة من عندنا﴾ أي كان انجاؤهم إنعاماً منا عليهم ورحمة منا بهم. وقوله تعالى ﴿كذلك نجزى من شكر﴾ أي كهذا الإنجاء أي من العذاب الدنيوي نجزى من شكرنا فآمن بنا وعمل صالحاً طاعة لنا وتقربا إلينا وقوله تعالى: ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾[5] أي إننا لم نأخذهم بظلم منا ولا بدون سابق إنذار منا لا، لا بل أخـذنـاهم بظلمهم، وبعـد تكـرر إنـذارهم، فكانوا إذا أنذروا تماروا بما أنذروا فجادلوا فيه مستهزئين مكذبين، ومن أعظم ظلمهم أنهم راودوا لوطاً عن ضيفه من الملائكة وهم في صورة بشر، فلما راودوه عنهم ليفعلوا الفاحشة ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فأصبحت كسائر وجوههم لا حاجب ولا مقلة ولا مكان للعين بالكلية وقولنا لهم فذوقوا عذابي ونذري أي لأولئك الـذين راودوا لوطاً عن ضيفه، أما باقى الأمة فهلاكهم كان كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿ولقد صحبهم بكرة﴾ أي صبـاحاً ﴿عذابٌ مستقر﴾ أي دائم لهم ملازم لا يفارقهم ذاقوه في الدنيا موتاً وصاحبهم بزرخاً ويلازمهم في جهنم لا يفارقهم.

وقلنـا لهم فذوقوا عـذابي ونذر[6] حيث كنتم تمارون وتستهزئون وقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي القرآن للحفظ وسهلناه للفهم والاتعاظ به والتذكر فهل من مدّكر أي فهل من متذكر متعظ معتبر فيقبل على طاعة الله متجنباً معاصيه فينجو ويسعد وقوله تعالى: ﴿ولقد جاء

---

(١) عرّف قوم لوط بالاضافة إليه عليه السلام لأنه لم يكن لتلك الأمة اسم عند العرب يعرفون به.

(٢) بعضهم يرويها بالذال المعجمة وبعضهم بالدال المهملة، وعمورة بعضهم يرويها بلفظ عمورية.

(٣) (إنا أرسلنا) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن من سمع بتكذيبهم تساءل عما فعل الله بهم.

(٤) لوط داخل في آله بفحوى الخطاب فلا يقال: لم لم يذكر لوط وذكر آله دونه.

(٥) البطشة المرة: أي الأخذة بشدة وعنف وقوة.

(٦) هذه المرة الثالثة ينوه فيها القرآن الكريم ولم يذكر هنا ما ذكر في المرتين قبل من قوله: (فكيف كان عذابي ونذر) اكتفاء بما سبق ذكره بُعداً عن التكرار غير المجدي.

آل فرعون النذر﴾[1] أي قوم فرعون من القبط وجنده منهم كذلك جاءتهم النذر على لسان موسى وأخيه هارون فكذبوا وأصروا على الكفر والظلم، وكذبوا بآيات الله كلها وهي[2] تسع آيات آتاها الله تعالى موسى أولها العصا وآخرها انفلاق البحر فبسبب ذلك أخذناهم أخذ عزيز غالب لا يمانع في مراده مقتدر لا يعجزه شيء فأغرقناهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته بالالتزام وتقرير التوحيد وإثبات النبوة لمحمد ﷺ. إذ أفعال الله العظيمة من إرسال الرسل والأخذ للظلمة الكافرين بأشد أنواع العقوبات من أجل أن الناس لم يعبدوا ولم يطيعوا دال على ربوبيته وألوهيته، وقص هذا القصص من أميّ لم يقرأ ولم يكتب دال على نبوة محمد ﷺ.

٢- بيان جزاء الشاكرين لله تعالى بالإيمان به وطاعته وطاعة رسله.

٣- مشروعية الضيافة وإكرام الضيف، وفي الحديث: من كان يؤمن[3] بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.

٤- تيسير القرآن وتسهيله للحفظ والاتعاظ والاعتبار.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

شرح الكلمات:

أكفاركم خير من أولئكم : أي أكفاركم يا قريش خير من أولئكم الكفار المذكورين من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وملائه؟ فلذا هم

---

(١) هذا آخر قصة تضمنتها سورة القمر تذكيراً وإنذاراً لكفار قريش لعلهم يؤمنون ويوحدون، والمراد من آل فرعون: أتباعه من رجال دولته وجنوده وقومه الأقباط، والشاهد من القصة أنهم كذبوا فأخذوا، فليعلم هذا المصرون على التكذيب من كفار قريش.

(٢) خمس منها في آية الأعراف: (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد، والقمل والضفادع والدم). والأربع الأخرى هي انقلاب العصا حية، وخروج يده من جيبه بيضاء كفلقة القمر وسنو القحط والطمس على الأموال وانفلاق البحر، فهذه التسع آيات التي كذبوا بها كلها.

(٣) في الصحيح.

لا يعذبون.

أم لكم براءة في الزبر : أم لكم يا كفـار قريش براءة من العـذاب في الزبر أي الكتب الإلهية.

أم يقولون نحن جميع منتصر : أم يقولون أي كفار قريش نحن جميع[1] أي جمع منتصر على محمد وأصحابه.

سيهزم الجمع ويولون الدبر : أي سيهزم جمعهم ويولون الدبر هاربين منهزمين وكذلك كان في بدر.

بل الساعة موعدهم : أي الساعة موعدهم بالعذاب والمراد من الساعة يوم القيامة.

والساعة أدهى وأمـر : أي وعذاب الساعة وأهوالها أي هي أي أعظم بلية وأمر أي أشد مرارة من عذاب الدنيا قطعاً.

معنى الآيـات :

يقـول تعالى مبكتا مشركي قريش مؤنباً إياهم وهم الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم يقول الله تعالى لهم: ﴿أكفاركم﴾[2] يا قريش خير من كفار الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون فلذا هم آمنون من العذاب الذي نزل بكفار الآخرين، أم لكـم[3] براءة من العـذاب جاءت في الكـتـب مسـطورة اللّهـم لا ذا ولا ذاك ما كفـاركـم بخير من أولئكم، وليس لكم براءة في الزبر، وإنما أنتم ممهلون فإما أن تتوبوا وأما أن تؤخذوا.

وقوله تعالى عنهم ﴿أم يقولون نحن جميع[4]﴾ أي جمع منتصر على كل من يحاربنا ويريد أن يفرق جمعنا نعم قالوا هذا، ولكن سيهزم الجمع ويولون الدبر، وقد تم هذا في[5] بدر بعد سنيات ثلاث أو أربع وهزم جمعهم في بدر وولوا الأدبار هاربين الى مكة.

وقوله تعالى ﴿بل الساعة[6] موعدهم﴾ أي الساعة التى ينكرونها ويكذبون بها هي موعد عذابهم

(١) جميع: اسم للجماعة كأنهم قالوا: نحن جماعة منتصرة على من يريد حربنا وذكرت الصفة (منتصر) مراعاة للفظ الجميع لا لدلالته على متعدد.

(٢) جائز أن يكون الاستفهام على بابه حيث يطلب منهم أن يفصحوا عن الحقيقة فإن قالوا كفارنا خير قيل لهم ما وجه الخيرية، وإن قالوا: الكل سواء قيل إذاً فسوف تؤخذون بالعذاب كما أخذ الأولون.

(٣) أم: للإضراب الانتقالي وما يقدر بعدها من استفهام هو للإنكار أي: بل ما لكم براءة في الزبر من العذاب حتى تكونوا آمنين مع تكذيبكم وكفركم.

(٤) (أم) هي المنقطعة المفسرة ببل للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعدها للتوبيخ.

(٥) فكانت هذه آية على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله لتحقق الغيب الذي أخبر به.

(٦) الساعة في القرآن: علم بالغلبة على يوم القيامة والحساب والجزاء.

الحق أما عذاب الدنيا فهو ليس شيء إذا قيس بعذاب الآخرة. ﴿والساعة أدهى﴾ أي أعظم بلية وأكبر داهية تصيب الإنسان وعذابها، ﴿وأمر﴾ أي وعذابها أمر من عذاب الدنيا كله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان حقيقة يغفل عنها الناس وهي أن الكفر كله واحد ومورد للهلاك.

٢ـ لا قيمة أبداً لقوة الإنسان إزاء قوة الله تعالى.

٣ـ صدق القرآن في إخباره بغيب لما يقع ووقع كما أخبر وهو آية انه وحي الله وكلامه.

٤ـ القيامة موعد لقاء البشرية كافة بحيث لا يتخلف عنه أحد.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

إن المجرمين في ضلال وسعر : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في ضلال في الدنيا ونار مستعرة في الآخرة.

ذوقوا مسَّ سقر : أي يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم ذوقوا مس سقر جهنم.

إنا كل شيء خلقناه بقدرٍ : أي إنا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له وذلك بكتابته في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض فهو يقع كما كتب كمية وصورة وزمانا ومكاناً لا يتخلف في شيء من ذلك.

وما أمرنا الا واحدة : أي وما أمرنا إذا أردنا خلق شيء إلا أمرةً واحدة فيتم وجوده .

كـلمح بالبصـر : الشيء بسرعة كلمح البصر وهو النظر بعجلة .

ولقد أهلكنا اشياعكم : أي ولقد أهلكنا أمثالكم أيها المشركون من الأمم السابقة .

فهل من مدّكر؟ : أي فاذكروا واتعظوا بهذا خيراً لكم من هذا الإعراض .

وكل شيء فعلوه في الزبر : أي وكل ما فعله العباد هو مسجل في كتب الحفظة من الملائكة .

وكل صغير وكبير مستطر : أي وكـل صغير وكبير من سائر الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ مستطر مكتوب .

إن المتقين في جنات ونهر : ان الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره في جنات يشربون من أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المصفى .

في مقعد صدق : أي في مجلس حق لا لغو به ولا تأثيم .

عند مليك مقتدر : عند مليك أي ذي ملك وسلطان مقتدر علىٰ ما يشاء وهو الله جل جلاله .

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ يخبر تعالى عن حال المجرمين وهم الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك وغشيان الذنوب يخبر تحذيراً وإنذاراً بأن المجرمين في ضلال في حياتهم الـدنيا، وسعر ونار مستعرة متأججة يوم القيامة يوم يسحبون في النار على وجـوههم يقـال لهم ذوقـوا تهكمـاً بهم مسّ سقـر[1] تذوقـوا العـذاب، وسقـر طبق من أطبـاق جهنم وباب من أبوابها

وقوله تعالى : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[2] إعلام منه تعالى عن نظام الكون الذ ي خلقه

---

(١) قال عطاء: سقر: الطبق السادس من جهنم، ومسها: هو ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها، وسقر: اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنه اسم مؤنث معرفة وكذلك جهنم ولظى .

(٢) روى الترمذي وحسنه وصححه عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر) . وروى مسلم عن طاووس قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر: قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس).

تعالى وهو أن كل حادث يحدث في هذا العالم قد سبق به علم الله وتقديره له فحَدُّد ذاته وصفاته وأعماله ومآله إلى جنة أو إلى نارٍ، إن كان انسانا أو جانا وليس هناك شيء يحدث بدون تقدير سابق له وعلم تام به قبل حدوثه.

وقوله تعالى: ﴿وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر﴾[1] يخبر تعالى عن قدرته كما أخبر عن علمه بأنه تعالى إذا أراد إيجاد شيء في الوجود لم يزد على أمرٍ واحد وهو كن فإذا بالمطلوب يكون كما أراد تعالى أزلاً أن يكون، وبسرعة كسرعة لمح البصر الذي هو نظرة سريعة.

وقوله تعالى وهو يخاطب مشركي قريش ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي أمثالكم في الكفر والعصيان أي من الأمم السابقة ﴿فهل من مدكر﴾ أي متذكر متعظ معتبر قبل فوات الوقت وحصول المكروه من العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

وقوله تعالى ﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي أولئك المشركون ﴿هو في الزبر﴾ أي في كتب الحفظة من الملائكة الكرام الكاتبين، وكل صغير وكبير من أعمالهم وأعمال غيرهم بل كل حادثةٍ في الأكوان هي مسطرة في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.

وقوله تعالى ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾[2] هذا الإخبار يقابل الإخبار الأول أن المجرمين في ضلال وسعر فالأول إعلام وتحذير وترهيب وهذا إخبار وبشرى وترغيب حيث أخبر أن المتقين الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره إنهم في جنات بساتين ذات قصور وحور، وأنهار وأشجار هم جالسون في مقعد صدق[3] في مجلس حق لا لغو يسمع فيه ولا تأثيم يلحق جالسه عند[4] مليك أي ذي ملك وسلطان مقتدر على فعل كل ما يريده سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه.

---

(١) (إلا واحدة) أي: مرة واحدة (كلمح البصر) أي: قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر، واللمح، النظر بعجلة، يقال لمحه وألمحه: إذا أبصره بنظر خفيف.

(٢) قرىء في غير السبع ونُهر بضم النون والهاء جمع نهار أي لا ليل لهم كسحاب وسُحب قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

إن تك ليلياً فإني نَهِرٌ متى أرى الصبح فلا أنتظر

وقال آخر:

لولا الثريدان هلكنا بالضحى ثريد ليل وثريد بالنهر

(٣) (مقعد صدق) قال القرطبي: أي: مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة، والعندية هنا عندية القربى والزلفى والمكانة والرتبة العالية والمنزلة الشريفة في جوار أرحم الراحمين ورب العالمين.

(٤) (مليك) أبلغ من ملك وهو بمعنى: مالك، و(مقتدر) أبلغ من قادر، والتنكير في مليك، ومقتدر: للتعظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان مصير المجرمين وضمنه تخويف وتحذير من الإجرام الموبق للإنسان.

٢ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٣ـ تقرير أن اعمال العباد مدونة في كتب الكرام الكاتبين لا يترك منها شيء.

٤ـ تقرير أن كل صغيرة وكبيرة من أحداث الكون هي في كتاب المقادير اللوح المحفوظ.

٥ـ بيان مصير المتقين مع الترغيب في التقوى إذ هي ملاك الأمر وجماع الخير.

٦ـ ذكر الجوار الكريم وهو مجاورة الله رب العالمين في الملكوت الأعلى في دار السلام.

سُورَةُ الرَّحْمَٰن [1]

مكيـــة

وآياتها ثمان وسبعون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

---

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن) وذكره صاحب الإتقان كذلك.

شـرح الكلـمات :

الرحمـن	: اسم من أسماء الله تعالى .
علم القـرآن	: أي علم من شاء من عِباده القرآن .
خلق الإنسـان	: آدم كما خلق ذريته أيضاً .
علمـه البيـان	: أي علم آدم البيان الـذي هو النطق والإعراب عما في النفس بلغة من اللغات كل هذا تعليم الله عز وجل ولولا الله ما نطق إنسان .
الشمس والقمر بحسبان	: أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما .
والنجم والشجر يسجدان	: النجم ما لا ساق له من النبـات ، والشجـر ما له ساق يسجدان يخضعان لله تعالى بما يريد منهما في طواعية كالسجود من المكلفين .
والسـماء رفعـها	: أي فوق الأرض وأعلاها .
ووضـع الميـزان	: أي أثبت العدل بين العباد أمر به وألهم صنع آلته .
الا تطغوا في الميزان	: أي لأجل أن لا تجوروا في الميزان وهو ما يوزن به من آلات .
وأقيموا الوزن بالقسط	: أي بالعدل .
وَلا تخسروا الميزان	: أي لا تنقصوا الموزون الذي تزنونه بل وفوه .
والأرض وضعها للانام	: أي أثبتها وخفضها كما رفع السماء وأعلاها للأنام لحياة الأنام عليها وهم الإنس والجن والحيوان وكل ذي روح .
فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام	: أي في الأرض فاكهة وهي كل ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه الكثيرة ، والنخل ذات الأكمام وهي أوعية طلعها .
والحب ذو العصـف	: أي وفي الأرض الحب من بُرٍّ وشعير وعصفه تبنه .
والريـحان	: نبت معروف ، والمراد به أنواع الرياحين المشمومة ذات الريح الطيّب .
فبأي آلاء ربكما تكذبان	: أي فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى . والجواب لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد .

معنى الآيـات:

قوله تعالى ﴿الرحمن[1] علم القرآن﴾[2] يُخبر تعالى أنه هو الرحمن الذي علم نبيه محمد ﷺ القـرآن لا كما يقول المبطلون إنما يعلمه بشر. الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وهي متجلية ظاهرة فيما يعدد من آلاء ونعم. منها خلقه الإنسان آدم وذريته، وتعليمهم البيان وهو النطق والإبانة عما في نفوسهم. ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[3] يجريان لإفادة الناس في معرفة أوقات عباداتهم، وآجال ديونهم وهي مظاهر الرحمة، ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ والنجم غذاء بهـائمكم والشجـر فيه فاكهتكم وبعض غذائكم ﴿يسجـدان﴾ خضوعاً لله بما أراد منهما لا يعصيان كمـا يعصي الثقلان. والسماء رفعها عن الأرض ولم يلصقها بالأرض إنعاماً منه على الثقلين في رفعها وتزيينها بكواكبها وشمسها وقمرها، ﴿ووضع الميزان﴾[4] أي العدل حيث أمر به وألهم وضع آلته وغرز في النفوس حبه والرغبة فيه، من أجل ألّا تجوروا في الميزان، ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل، ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي لا تنقصوه إذا وزنتم بل وفوه كل هذا إنعام وألوان من رحمات الرحمن. والأرض وضعها للأنام أي أثبتها وخفضها ودحاها لحياة الأنام. وهم الإنس والجـان والحيوان، ﴿فيهـا فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ أي أوعية الطلع، والحب البر والشعير ذو العصف[5] أي التبن والريحان هذه أنواع الطعام للإنسان والحيوان طعام وفاكهة وريحان كل هذه مظاهـر الـرحمة التي أفاضها الرحمن. ﴿فبأي[6] آلاء ربكما﴾ يا معشر الجن والإنس ﴿تكذبان﴾. لا بشيء من نِعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ الرحمن مثل اسم الله لا يصح أن يطلق على غير الرب تبارك وتعالى، فيقال فلان عزيز أو رحيم أو عليم أو حكيم، ولكن لا يقال رحمان، كما لا يقال إله أو الإله أو الله.

---

(١) اختير اسم الرحمن دون سائر الأسماء الإلهية لأمور منها: أنه الاسم الذي كان المشركون ينكرونه، ومنها الرد على الزاعمين أن الرسول ﷺ يعلمه بشر فأخبر تعالى أن الرحمن هو الذي علّم القرآن، ومنها: أن يكون في هذا الخبر براعة استهلال إذ السورة تعدد عشرات النعم، ومصدرها الرحمن عز وجل.

(٢) (علم القرآن) هذا الخبر عن الرحمن، و(خلق الإنسان) خبر ثان و(علمه البيان) خبر ثالث، و(الشمس والقمر بحسبان) خبر رابع، والرابط تقديره بحسبانه، فالضمير عائد على الرحمن سبحانه وتعالى.

(٣) الحسبان: مصدر حسب بمعنى: عد كالغفران: مصدر غفر والباء للملابسـة.

(٤) أصـل الميزان: اسم آلـة الوزن، والوزن: تقدير تعادل الأشياء، وضبط مقادير ثقلها، و(وضع) بمعنى: جعل ومنه الحديث: (فضعها حيث أراك الله) أي: اجعلها.

(٥) سمي التبن عصفاً: لأن الريح تعصف به لخفته.

(٦) الفاء للتفريع على ما تقدم من ضروب النعم العظيمة.

٢ـ ورد في الصحيح في فضل تعلم القرآن قوله ﷺ خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

٣ـ وجوب إقامة العدل والتواصي به ، ومراقبة الموازين لدى التجار وإصلاح فاسدها .

٤ـ وجوب شكر الله على آلائه .

٥ـ استحباب قول لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد عند سماع قراءة فبأي آلاء ربكما تكذبان .

٦ـ مشروعية تعلم علم الفلك لمعرفة القبلة ومواقيت الصلاة والصيام والحج .

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ[1] ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

خلق الإنسان من صلصال كالفخار : أي خلق آدم من طين يابس يسمع له صلصلة كالفخار وهو ما طبخ من الطين .

وخلق الجان من مارج من نار : أي أبا الجن من لهب النار الخالص من الدخان وهو مختلط احمر وازرق واصفر.

رب المشرقين ورب المغربين : أي مشرق الشتاء ، مشرق الصيف أي مطلع طلوع الشمس فيهما . وكذا المغربين في الصيف والشتاء

(١) اختلف في تحديد كل من اللؤلؤ والمرجان ، فمن قائل : اللؤلؤ كباره والمرجان صغاره ، وقيل : المرجان : الخرز الأحمر، وقيل : المرجان : عظام اللؤلؤ وكباره .

مرج البحرين يلتقيان : أي أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان في رأي العين.

بينهما برزخ لا يبغيان : أي بينهما حاجز لا يبغى أحدهما على الآخر فيختلط به.

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أي يخـرج من مجمـوعها الصادق بأحدهما وهو الملح اللؤلؤ والمرجان وهو خرز أحمر، وهو صغار اللؤلؤ.

ولـه الجـوار المنشـآت في البحر كالأعلام : أي السفن المحدثات في البحر كالأعلام أي كالجبال عظماً وارتفاعاً.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر ما أفاض الرحمن جل جلاله من رحمته التي وسعت كل شيء من آلاء ونعم لا تحصى ولا تعد ولا تحصر فقال تعالى ﴿خلق الإنسان﴾ أي الرحمن الذي تجاهله المبطلون وقالوا: وما الرحمن؟ الرحمن الذي خلق الإنسان آدم أول إنسان خلقه ومن أي شيء خلقه ﴿في صلصال﴾[1] أي من طين ذي صلصلة وصوت ﴿كالفخار﴾ خلق الإنسان، وخلق الجان وهو عالم كعالم الإنسان خلق أصله من مارج وهو ما مرج واختلط من لهب النار. فبأي يا معشر الجن والإنس ﴿آلاء ربكما تكذبان﴾ إنها نعم تفوق عد الإنسان مَنْ رب المشرقين ورب المغربين من خلقهما من ملكهما من سخرهما لفائدة الإنسان؟ إنه الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان؟[2] لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. الرحمن مرج البحرين[3] الملح والعذب أرسلهما على بعضهما فمرجا.كأنهما اختلطا إذ جعل بينهما برزخاً حاجزاً فهما لا يبغيان فلا يختلط أحدهما بالثاني، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ يُخرج منهما[4] اللؤلؤ والمرجان من خلق في مجموع البحرين اللؤلؤ والمرجان وهما خرز أبيض وأحمر وأخضر ولفائدة من خلقهما الرحمن؟ انها لفائدة الإنسان إذاً هما نعمة ورحمة من رحمات الرحمن ﴿فبـأي آلاء ربكـما تكذبان﴾ ﴿ولـه الجـوار﴾[5] أي للرحمن الجوار المنشآت المصنوعات في البحر في أحواض السفن كالأعلام علواً وارتفاعا تظهر في البحر كما تظهر الجبال في البر لمصلحة من خلقها الرحمن لمصلحة الإنسان فهي إذاً رحمة

---

(١) الصلصال: الطين اليابس، والفخار: الطين المطبوخ، ويسمى الخزف وجائز أن يكون كالفخار في محل نصب حال من الإنسان أي: خلقه من صلصال فصار الإنسان كالفخار في لونه وصلابته.

(٢) الاستفهام هنا: للتوبيخ على ترك الشكر.

(٣) المرج: الإرسال كقولهم: مرج الدابة: أرسلها ترعى في المرج. والمعنى: أرسل البحرين بحيث لا يحبس ماؤهما عن الجري ولا عن الالتقاء ببعضهما البعض، ومع هذا فقد جعل بينهما برزخاً، وهو الفاصل الذي يفصل الماء الملح الأجاج عن العذب الفرات. هذه مظاهر القدرة والعلم الموجبة للتوحيد والشكر بالطاعة.

(٤) جائز أن تكون من في منهما: للسببية نحو: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وجائز أن تكون للابتداء وهو الأظهر.

(٥) الجوار: صفة لموصوف محذوف وهو السفن أي: وله السفن الجوار في البحر، وجمع الجوار جارية.

الرحمن ونعمته على الإنسان فبأي آلاء ربكما يا معشر الإنس والجن تكذبان؟ اقروا واعترفوا واشكروا الرحمن.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان أصل خلق الإنسان والجان فالأول من طين لازب ذي صلصال كالفخار والثاني من مارج من نار وأخبر الرسول ﷺ أن خلق الملائكة كان من نور.[1]

٢ـ معرفة مطالع الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف وهما مطلعان ومغربان.

٣ـ معرفة صناعة اللؤلؤ والمرجان، والسفن التى هى في البحر كالجبال علواً وظهوراً.

٤ـ وجوب شكر الرحمن على إنعامه على الإنس والجان.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

شـرح الكـلمات :

كل من عليها فان : **أي كل من على الأرض من إنسان وحيوان وجان فانٍ أي هالك.**

---

(١) الحديث في صحيح مسلم.

ويبقى وجه ربك : أي ذاته ووجه سبحانه وتعالى.

ذو الجلال والإكرام : أي العظمة والإنعام على عباده عامة والمؤمنين بخاصة.

يسأله من في السموات والأرض : أي يسألونه حاجاتهم التى تتوقف عليها حياتهم من الرزق والقوة على العبادة. والمغفرة للذنب، والعزة من الرب.

كل يوم هو في شأن : أي كل وقت هو في شأن: شؤون يبديها وفق تقديره لها يرفع أقواماً ويضع آخرين

سنفرغ لكم أيها الثقلان[1] : أي لحسابكم ومجازاتكم بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا ونجزى كلًّا بما عمل.

إن استطعتم أن تنفذوا : أي إن قدرتم على أن تخرجوا.

من أقطار السموات والأرض : أي من نواحى السموات والأرض.

فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان : أي فاخرجوا. لا تنفذون إلا بقوة ولا قوة لكم وهذاتعجيز لهم.

يرسل عليكما شواظ من نار : أي من لهب النار الخالص الذى لا دخان فيه.

ونحاس : أي دخان لا لهب فيه، ولا يبعد أن يكون نحاساً مذاباً.

فلا تنتصران : أي لا تمتنعان من السوق الى المحشر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أيادى الرحمن الرحيم قال عز من قائل ﴿كل من عليها[1] فان﴾ كل من على الأرض من إنسان وجانٍ وذي روح وحيوان فانٍ: هالك، لا تبقى له روح ولا ذات، ﴿ويبقى[2] وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ حيٌّ لا يموت والإنس والجن يموتون فبأي آلاء ربكما[3] تكذبان أبنعمة إيجادكما وإمدادكما بالأرزاق والخيرات طوال الحياة أم بنعمة انهاء أتعابكما وتكاليفكما أم بإهلاك أعدائكما، وإدنائكما من النعيم المقيم في جنات النعيم، قولوا خيراً لكم لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. وقوله ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾[4]

---

(١) قيل في الإنس والجن: الثقلان لأنهما أثقلا وأتعبا بالتكاليف.

(٢) الضمير عائد إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر نحو (توارت بالحجاب). لأن المقام دال عليها.

(٣) أطلق لفظ الوجه وأريد به ذات الرب تعالى جرياً على عرف العرب في كلامهم إذ يطلقون الوجه على الذات والوجه معاً، ومعنى (فان) أي: صائر إلى الفناء.

(٤) جائز أن يكون في الفناء نعمة لا تدرك فلذا صح إيراد جملة: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وأي نعمة أعظم من انتهاء هذه الحياة بكل ما فيها للانتقال إلى الحياة الدائمة حيث الخلد والبقاء فهي لأهل السعادة نعمة توجب أعظم الشكر.

(٥) السؤال: الدعاء فالملائكة يسألونه تعالى أن يغفر للذين آمنوا وهو قولهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم).

أي يطلبونه بلسان القال أو الحال ما هم في حاجة إليه مما يحفظ وجودهم ويغفر ذنوبهم وقوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي لا يفرغ الدهر كلّه يدبر أمر السماء والأرض يرفع أقواماً ويضع آخرين.

وقول الرحمن ﴿سنفرغ[1] لكم أيها الثقلان﴾ من الإنس والجن فنحاسبكما ونجزيكما محسنكما بالإحسان وسيئكما بالسوء والخسران، وهذا يوم تقومان للرحمن، حفاة عراة وتقفان بين يديه للحكم فيكما والقضاء بينكما فبأي آلاء ربكما تكذبان أبالعدل في الحكم بينكما أم بإسعاد صالحيكما واشقاء مجرميكما.

وقول الرحمن ﴿يا معشر[2] الجن والإنس إن استطعتم أنْ تنفذوا﴾ أي تخرجوا ﴿من أقطار السموات والأرض﴾ أي من جوانبهما وأطرافهما ﴿فانفذوا﴾ أي اخرجوا هاربين من قضائي وحكمي لكما وعليكما لا تنفذون إلا بقوة قاهرة غالبة ولا قوة لكم ولا سلطان هكذا يتحداهما الرحمن وهم يساقون الى ساحة فصل القضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبنعمة احيائكما بعد موتكما أم بنعمة إكرام صلحائكما وإهانة فاسديكما وهي العدالة التي لا رحمة ولا نعمة في الحياة الدنيا تساويهما. وقوله تعالى ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ أي لهب النار الخالص من الدخان، ونحاس وهو دخان خالص فلا تنتصران هذا إن أردتما الفرار من عدالتي وعدم الإذعان لقضائي وحكمي فيكما. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبعظمة ربكم وقوة سلطانه أم برحمة مولاكم ولطفه بكم اللهم لا شيء من آلائك نكذب ربنا ولك الحمد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان جلال الله وعظمته وقوة سلطانه.

٣- بيان عجز الخلائق امام خالقها عز وجل.

٤- وجوب حمد الله تعالى وشكره على السراء والضراء.

---

(١) التفرغ للأمر: كناية عن الاشتغال به والعناية به دون غيره و(الثقلان) تثنية ثقل، وهل سمي الإنسان ثقلا لأنه محمول على الأرض والصحيح أن الإنسان والجن سميا بالثقلين لإثقالهما بالتكاليف من باب تسمية الشيء بعمله كتسمية العصفور طائر لأنه يطير.

(٢) المعشر: اسم للجمع الكثير الذي يُعدُّ عشرة عشرة دون آحاد.

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

فاذا انشقت السماء : أي انفتحت أبوابا لنزول الملائكة الى الأرض لتسوق الخلائق الى المحشر.

فكانت وردة كالدهان : أي السماء محمرة احمرار الأديم أو الفرس الأحمر وذابت فكانت كالدهان في صفائها وذوبانها.

فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان : أي يوم يخرجون من قبورهم لا يسألون عن ذنوبهم لما لهم من علامات كاسوداد الوجوه وبياضها، ويسألون عند الحساب.

يعرف المجرمون بسيماهم : أي سواد الوجوه وزرقة العيون.

فيؤخذ بالنواصي والأقدام : أي تضم ناصية المجرم الى قدميه ويؤخذ فيلقى في جهنم.

هذه جهنم التي يكذب بها : أي يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون في الدنيا.

المجرمون : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي.

يطوفون بينها وبين حميم آن : أي يسعون مترددين بينها وبين ماء حار قد انتهت حرارته إلى حد لا مزيد عليه وهو الحميم الآن يُسقونه إذا عطشوا واستغاثوا يطلبون الماء لإرواء غلتهم العطشة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في عرض أحـوال القيامـة وأهوال الموقف فقال جل جلاله وعظم سلطانـه : ﴿فـإذا انشقت السماء﴾ أي تفتحت لنزول الملائكة فكانت أبواباً بعد أن احمرت وتغيرت زرقتها لحمرة كحمرة الأديم الاحمر أو الفرس الأحمر أو الوردة الحمراء كل ذلك صالح لتشبيه لونهـا به وذابت فكـانت كالدهان كما جاء وصفها في سورة المعارج يوم تكون السماء كالمهل .وهو دِرْديّ الزيت وعكره. فيومئذ أي يوم[1] إذ يقع هذا يعظم الكرب ويشتد البلاء ويخرج الناس من قبورهم لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي انسيّ ولا جنى فبأي آلاء ربكما تكذبان؟[2] وقوله تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ أي باسوداد وجوههم وزرقة أعينهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام أي فيجمع الملك المكلف الإنس أو الجن المجرم بين ناصيته وقدميه ويأخذه فيرمي به في نار جهنم فبأي آلاء ربكما تكذبان أبنعمة العدالة أم بنعمة إكرام المتقين الصالحين. قولوا لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

وقوله تعالى ﴿هذه جهنم﴾ أي يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على أنفسهم بالشرك والمعاصى في الحياة الدنيا قال تعالى ﴿يطوفون﴾ أي[3] يسعون مترددين ﴿بينها وبين حميم آن﴾[4] أي ماء حار اشتدت حرارته فبلغت حداً لا مزيد عليه يسقونه إذا استغاثوا من العطش. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ إن خزي المجرمين وتعذيبهم نعمة تُقربها الفطرة البشرية ولا يقدرها الا من ذاق طعم الخوف والعذاب الذي ينزله المجرمون بالمتقين فلذا كان تعذيبهم يوم القيامة نعمة، كما أن هذا العرض لأحوال يوم القيامة وأهوالها نعمة إذ عليه آمن المؤمنون واتقى المتقون، فلذا قال تعالى بعد وصفِ حال أهل النار فبأي آلاء ربكما تكذبان؟[5]

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان الانقلاب الكوني وخراب العالم للقيامة.

٢ـ يبعث الناس من قبورهم ولهم علامات تميزهم فيعرف السعيد والشقي.

٣ـ التنديد بالإجرام وهو الشرك والظلم والمعاصي.

---

(١) جملة: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) جواب الشرط (فإذا انشقت السماء..) الخ وجملة: فبأي آلاء ربكما تكذبان) معترضة بين الشرط والجواب.

(٢) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن قوله: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) والسيما: العلامة.

(٣) المعنى: أنهم يتنقلون بين مكان النار وبين الماء الحار فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبرد فلاح لهم الماء فأتوه فأصابهم حره فانصرفوا إلى النار وهكذا حالهم تطواف بين النار والحميم.

(٤) (آن) اسم فاعل من أنى يأني فهو آنٍ: إذا اشتدت حرارته وبلغت منتهاها في الحر.

(٥) وجائز أن يكون تكريراً للتقرير والتوبيخ كنظائره.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

ولمن خاف مقام ربه جنتان : أي ولمن خاف الوقوف بين يدي الله في عرصات القيامة فآمن واتقى جنتان

ذواتا أفنان : أي أغصان من شأنها أن تُورق وتُثمر وتمد الظل.

فيهما من كل فاكهة زوجان : أي من كل ما يتفكه به من أنواع الفواكه صنفان.

بطائنها من استبرق : أي بطائن الفرش من استبرق وهو ما غلظ من الديباج والظهائر من السندس وهو مارقّ من الديباج الذي هو الحرير

وجنى الجنتين دان : أي وما يُجنى من ثمار الجنة دان قريب التناول يناله القائم والقاعد.

فيهن قاصرات الطرف : أي قاصرات النظر بأعينهن على أزواجهن فقط.

لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان : أي لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان.

كأنهن الياقوت والمرجان : أي كأنهن في جمالهن الياقوت في صفائه والمرجان اللؤلؤ الأبيض.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان : أي ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالنعيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تعداد النعم وذكر أنواعها فقال تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ [1] أي الوقوف بين يديه في ساحة فصل القضاء يوم القيامة فأطاعه بأداء الفرائض واجتناب المحرمات ﴿جنتان﴾ [2] أي بستانان فبأي آلاء ربكما تكذبان أبإثابة أحدكم الذي إذا هم بالمعصية ذكر قيامه بين يدي ربه فتركها فأثابه الله بجنتين. وقوله ذواتا أفنان هذا وصف للجنتين وصفهما بأنهما ذواتا أفنان جمع فنن لون أفنان ألوان [3] ولأشجارها أغصان من شأنها تورق وتثمر وتمد الظلال فبأي آلاء ربكما تكذبان أبهذا النعيم والإثابة للمتقين تكذبان.

وقوله ﴿فيهما عينان تجريان﴾ أي في الجنتين ذواتي الأفنان عينان تجريان بالماء العذب الزلال الصافي خلال تلك القصور والأشجار فبأي آلاء ربكما [4] تكذبان يا معشر الجن والإنسان أبمثل هذا العطاء والإفضال تكذبان؟ وقول الرحمن فيهما من كل فاكهة زوجان أي في تينك الجنتين من كل فاكهة من الفواكه صنفان فلا يكتفى بصنف واحد إتماماً للنعيم والتنعُّم فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا الإنعام والإكرام لأهل التقوى تكذبان؟ وقوله ما أوسع رحمته وهو الرحمن ﴿متكئين﴾ [5] أي حال تنعمهم على فرش على الأرائك بطائن [6] تلك الفرش من استبرق وهو الغليظ من الديباج أما الظواهر فهى السندس وهو مارق من الديباج. وقوله ﴿وجنى الجنتين دان﴾ أي وثمارها التي تجنى من أشجارها دانية أي قريبة التناول يتناولها المتقى وهو مضطجع أو قاعد أو قائم، لا شوك فيها ولا بعد لها فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا الإنعام والإكرام

---

(١) (مَنْ) مِنْ ألفاظ العموم كالجنس.

(٢) جنتان تحفان بقصره أو واحدة عن يمين القصر وأخرى عن شماله ولا يعرف مدى سعتهما إلا الله تعالى، وذلك لما ثبت أن أحدهم يعطى مثل الدنيا عشر مرات واللام في (لمن خاف) لام الملك.

(٣) يطلق الفنن على اللون وعلى الغصن فأفنان الفاكهة: ألوانها المختلفة، وأفنان الشجر أغصانه، قال النابغة:

بُكاءَ حَمَامَة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني

(٤) الاستفهام في قوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) تكرر بتكرار النعم، وهو للتقرير والتوبيخ والحث على الشكر بالعبادة والتوحيد فيها.

(٥) (متكئين) حال من (ولمن خاف مقام ربه).

(٦) البطائن: جمع بطانة بكسر الباء مشتقة من البطن خلاف الظهر وضد البطانة الظهارة، فالبطانة: أسفل الثوب والظهارة: ظهره.

تكذبان. قول الرحمن: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾[1] أي وفي تينك الجنتين نساء من الحور العين ﴿قاصرات الطرف﴾ أي العين على أزواجهن فلا ترى إلا زوجها أي فلا تنظر إلا إلى زوجها وتقول له وعزة ربي وجلاله وجماله ما أرى فى الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك.

وقوله ﴿لم يطمثهن﴾ أي لم يجامعهن فيفتضهن قبل أزواجهن ﴿إنس ولا جان﴾ أي لم يجامع الإنسية قبل زوجها الإنسي إنسي ولم يجامع الجنية قبل زوجها الجني جان فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا الإنعام تكذبان؟

وقوله ﴿كأنهن الياقوت﴾ أي في صفائهن ﴿والمرجان﴾ في بياضهن إذ الحوراء منهن يُرى مخُ ساقها تحت ثيابها كما يرى الخيط أو السلك في داخل الياقوته لصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا العطاء والإنعام تكذبان.

وقوله عظم فضله وجل عطاؤه وهو الرحمن ﴿هل جزاء الإحسان﴾ أي في الإيمان والطاعات من العبادات ﴿إلا الإحسان﴾[2] إليه بمثل هذا النعيم العظيم الذي ذكر في هذه الأيات. فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الإنس والجان فقولا: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ فضل الخوف من الله تعالى وذلك كأنْ تعرض للعبد المعصية فيتركها خوفا من الله تعالى.

٢ـ فضل نساء أهل الجنة في حبهن لأزواجهن بحيث لا ينظرن إلا إليهم.

٣ـ بيان أن أفضل النساء في الدينا تلك التي تقصر نظرها على زوجها فتحبه ولا تحب غيره من الرجال.

٤ـ بيان أن الجن المتقين يدخلون الجنة ولهم أزواج كما للإنس سواء بسواء.

٥ـ الإشادة بالإحسان وبيان جزائه والإحسان هو إخلاص العبادة لله والإتيان بها على الوجه الذي شرع أداؤها عليه، مع الإحسان إلى الخلق بكف الأذى عنهم وبذل الفضل لمن احتاجه منهم.

---

(١) هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللائي كن لهم في الدنيا إذ مَسُّهن أزواجهن والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا

(٢) جملة: (هـل جزاء الإحسـان إلا الإحسان) تذييل لما قبلها من الجمل المتضمنة إيمان المؤمنين وعملهم الصالح وإحسانهم فيه، والاستفهام للنفي.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

ومن دونهما جنتان : أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه .

مدّهامتان : أي مسودتان من شدة خُضْرتهما .

فيهما عينان نضاختان : أي فوارتان دائماً وأبداً تفوران بالماء العذب الزلال .

فيهن خيرات حسان : أي في الجنات الأربع نساءٌ خيرات الأخلاق حسان الوجوه

حـــور : أي أولئك الخيرات حور أى بيض والواحدة حوراء أي بيضاء .

مقصورات في الخيام : أي مستـــورات محبوسـات على أزواجهن في الخيام والخيمة من در مجوف مضافة الى القصور، وطول الخيمة الواحدة ستون ميلا .

لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان : أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن قبل أزواجهن في الجنة أحد .

على رفرف خضر : أي على وسائد أو بسط الواحدة رفرفة خضر جمع أخضر.
وعبقري حسان : أي طنافس جمع طنفسة بساط له خمل رقيق اي بسط حسان.
تبارك اسم ربك : أي تقدس وكثرت بركة اسم ربك الرحمن.
ذي الجلال والإكرام : أي ذي العظمة والإكرام لأوليائه والإحسان إلى عباده.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى وإفضاله على عباده فقال ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه من السابقين وهاتان لمن خاف مقام ربه من أصحاب اليمين وقد يكون العكس كذلك والله أعلم بأي الجنتين أفضل، اللهم ارزقنا ما شئت منهما فإنا بعطائك راضون ولك حامدون شاكرون فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي إنعام وإفضال تكذبان؟ وقوله تعالى: ﴿مدّهامتان﴾ مخضرتان[1] الى حد الاسوداد فإن الأخضر من الأشياء إذا اشتدتْ خضرته ضربت إلى السواد ويقال فيها مدهامة فبأي[2] آلاء ربكما تكذبان أي بأي إنعام تكذبان يا معشر الجن والإنس ﴿فيهما﴾ في الجنتين ﴿عينان نضاختان﴾ أي فوّارتان بالماء دائماً وأبداً، فبأي آلاء ربكما تكذبان بأي إفضال وإحسان تكذبان وقول الرحمن ﴿فيهما﴾ أي في الجنتين فاكهة ونخل ورمان[3] لفظ الفاكهة قد يعم النخل والرمان ويصبح ذكر النخل والرمان لمزيد فضيلة كذكر الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات الخمس في قوله ﴿حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى﴾ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ لا بشيء من آلاء ربنا نكذب ربنا فلك الحمد. وقوله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان[4]﴾ أي في الجنتين نساء هن خيرات جمع خيرة خيرات الأخلاق حسان الوجوه. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبمثل هذا الإنعام والإكرام على أولياء الرحمن تكذبان؟ ﴿حور مقصورات في[5] الخيام﴾ إن أولئك الخيرات حور جمع حوراء وهي البيضاء، والحوراء كذلك من يغلب بياض عينيها سوادهما وهو من جمال النساء محبوسات في الخيام لا ينظرن الى غير أزواجهن، والخيمة من درة مجوفة طولها ستون ميلا مضافة الى قصورهم.

(١) (مدهامتان) وصف مشتق من الدهمة، بضم الدال وهو لون السواد الناتج عن شدة الخضرة.
(٢) الاستفهام كسابقه للتقرير والتوبيخ.
(٣) عطف النخل والرمان على (فاكهة) من باب عطف الجزء على الكل أو الخاص على العام كقوله تعالى: (وملائكته ورسله وجبريل وميكال).
(٤) (خيرات) بسكون الياء جمع خيرة وهو وصف لموصوف محذوف أي: نساء خيرات، والأصل: خيّرات بتشديد الياء المكسورة جمع خيرة مؤنث خير وهو المختص بوصف الخير ضد الشر وخفف في الآية طلبا للخفة مع السلامة من اللبس.
(٥) المقصورات: صفة لموصوف أي: نساء مقصورات والقصور على الخيمة بعدم الخروج منها: وصف للترف والنعيم بحيث لا تخرج من الخيمة والقصر لغناها بخلاف من تخرج للعمل لحاجتها إلى العمل في البستان أو غيره.

وقوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن إنس ولا جان من قبل أزواجهن في الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ والجواب: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب ربنا فلك الحمد.

وقوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف[1] خضر وعبقري حسان﴾ أي متكئين على رفرف خضر والرفرف جمع رفرفة أي على وسائد أو بُسُطٍ خُضْرٍ، وعبقريّ[2] حِسان أي على طنافس[3] ذات خمل دقيق. فبأي آلاء ربكما تكذبان بنعم الدنيا أم بنعم البرزخ أم بنعم الآخرة لا بشيء من آلاء ربنا نكذب.

وقوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ أي تبارك اسم ربك أي تقدس وكثرت بركات اسم ربك الرحمن ذي الجلال أي العظمة والإكرام لأوليائه وصالحى عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن نعيم الآخرة أعظم وأجل من نِعم الدنيا.

٢- فضيلة التمر والرمان فلنبحث منافعهما فإن الحقيقة بنت البحث.

٣- فضل المرأة المقصورة في بيتها وذم الولاجة الخراجة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

٤- بيان أن الجن يدخلون الجنة ويسعدون فيها.

٥- البركة تنال ببسم الله الرحمن الرحيم.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ
مكية
وآياتها ست وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ

---

(١) الرفرف: اسم جمع رفرفة، وهي ما يبسط على الفراش للنوم عليه، ويغلب عليها اللون الأخضر، ولذلك شبه ذو الرمة الرياض بالبسط العبقرية في قوله:

حتى كأن رياض القف ألبسها من وشي عَبْقر تجليل وتَنْجيد

وكانت الثياب الخضر. عزيزة إذ هي لباس الملوك والكبراء. قال النابغة:

يصون أجساداً قديما نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب

(٢) العبقري: وصف لكل ما كان فائقا في صفته عزيز الوجود وهو نسبة إلى عبقر اسم بلاد الجن في معتقد العرب فنسبوا إليه كل ما تجاوز العادة في الإتقان والحسن، ومنه قول الرسول ﷺ في رؤياه لعمر: (فلم أر عبقرياً يفري فريه).

(٣) جمع طنفسة وهي البساط ذو الخمل، و(حسان) جمع حسناء، وهو وصف لعبقري لأنه اسم جمع.

﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

شـرح الكلـمات :

إذا وقعت الواقعة : أي قامت القيامة وقيل فيها الواقعة لأنها واقعة لا محالة.

ليس لوقعتها كاذبة : أي نفس تكذب بها بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.

خافضة رافعة : أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

إذا رجت الأرض رجا: أي حركت حركة شديدة.

وبُسَّت الجبال بسا : أي فتِتت تفتيتاً

فكانت هباء منبثا : أي غبـاراً منتشراً.

وكنتم أزواجاً ثلاثة : أي في القيامة أصنافاً ثلاثة.

فأصحاب الميمنة : أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم.

ما أصحاب الميمنة : أي تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

وأصحاب المشـأمة : أي الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم.

ما أصحاب المشأمة : أي تحقير لشأنهم بدخولهم النار.

والسابقـون : أي إلى الخير وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة في أول الدعوة.

السـابقون : تعظيـم لشأنهم.

أولئـك المقربون : أي هم المقربون الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.

في جنات النعيم : في بساتين النعيم الدائم.

معنى الآيات :

قوله تعالى في تقرير البعث والجزاء الذي كذب به المشركون وأنكروه في إصرار وعناد ﴿إذا وقعت الواقعة﴾[1] أي إذا قامت القيامة ﴿ ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي نفس تكذب بها إذ يؤمن بها الجميع، خافضة لأقوام أي مظهرة لحالهم بأنهم أهل النار، رافعة لآخرين مظهرة لحالهم بأنهم من أهل الجنة. وقوله: ﴿إذا رجت[2] الأرض رجاً﴾ أي حرّكت حركة شديدة، ﴿وبست الجبال[3] بساً﴾ أي إذا بست الجبال أي فتتت تفتيتاً ﴿فكانت هباء[4] منبثاً﴾ أي غباراً منتشراً.

وقوله تعالى ﴿وكنتم﴾ أي أيها الناس ﴿أزواجاً﴾ أي أنواعاً ثلاثة: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والمقربون فأصحاب الميمنة أو الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ما أصحاب[5] الميمنة أي أن شأنهم عظيم وذلك بدخولهم الجنة دار النعيم. وأصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال أي اليساريون الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم أي بمياسرهم ما أصحاب المشأمة أي شأنهم حقير وذلك بدخولهم النار. والسابقون إلى الإيمان والطاعة في أول ظهور الدعوة السابقون[6] هذا تعظيم لشأنهم واعلان عن فوزهم وكرامتهم في جنات النعيم وهي بساتين ذات نعيم دائم جعلنا الله منهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- تقرير البعث والجزاء في الآخرة.

٢- الإيمان والتقوى يرفعان والشرك والمعاصي يضعان ويخفضان.

٣- السابقون الى الطاعات لهم فضل الاسبقية في كل زمان ومكان.

٤- اليساريون هم اشقياء الدنيا والآخرة. لأنهم عندما أخذ غيرهم ذات اليمين طالبين الإيمان والاستقامة أخذوا هم ذات الشمال طالبين الكفر والفسوق.

---

(١) (الواقعة) علم بالغلبة على القيامة، وأصل الواقعة: الحادثة، ومن ذلك قولهم واقعة أحد أو بدر مثلاً، وإذا ظرف ضمن معنى الشرط متعلق بالكون المقدر في قوله: (في جنات النعيم) و(ليس لوقعتها) مستأنفة بيانية.

(٢) (إذا رجّت الأرض) بدل من (إذا) الأولى، وجواب الشرط (إذا) الأولى والمبدلة منها هو قوله: (فأصحاب الميمنة).. الخ.

(٣) البسُّ: بمعنى التفتت للأجزاء المجموعة، ومنه: البسيسة: للسويق ويطلق البسّ على السوق للماشية، وفي الحديث: (فيأتي قوم فيبسون بأموالهم وأهليهم - أي: يسوقونهم - والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون).

(٤) الهباء: ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار.

(٥) (أصحاب الميمنة) : (ما) مبتدأ والخبر: أصحاب الميمنة، والجملة خبر فأصحاب الميمنة وكذا (ما أصحاب المشأمة).

(٦) يجوز أن يكون (السابقون): خبر عن الأول، وجملة: (أولائك المقربون) مستأنفة، ويجوز أن يكون (السابقون) الثاني: ويجوز أن تكون تأكيداً للأول، والخبر: جملة (أولائك).

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ثلة من الأولين : أي جماعة من الأمم الماضية.

وقليل من الآخرين : أي من أمة محمد ﷺ. هؤلاء هم السابقون

على سرر موضونة : أي منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر.

ولدان مخلدون : أي على شكل الأولاد لا يهرمون فيخدمونهم أبداً.

بأكواب وأباريق : يطوف عليهم الولدان الخدم بأكواب وهي أقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا وخراطيم.

وكأس من معين : أي وإناء لشرب الخمر ومعين بمعنى جارية من نهر لا ينقطع أبداً.

لا يصدعون : أي لا يحصل لهم من شربها صداع.

ولا ينزفون : أي ولا تذهب عقولهم يقال نزف الشارب وأنزف إذا ذهب عقله بالسكر.

وفاكهه مما يتخيرون : أي يختارون منها ما يروق لهم ويعجبهم وإن كانت كلها معجبة.

وحور عين : أي ولهم نساء بيض عين أي واسعة الأعين وشديدات سواد العيون وبياضها.

كامثال اللؤلؤ المكنون : أي أولئك الحور العين هن في جمالهن وصفائهن كأمثال اللؤلؤ المصون.

لغـواً ولا تأثيـما : أي لا يسمعون في الجنة لغواً أي فاحش الكلام ومالاخير فيه ولا ما يوقع في الإثم.

إلا قيلا سلاما سلاما : إلا قولا سلاما سلاما أي لا يسمعون الا السلام من الملائكة ومن بعضهم بعضاً.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في بيان أحـوال النـاس إذا قامت القيامـة فذكر أنهم يصيرون أصنافاً ثلاثة أصحـاب يمين وأصحـاب شمال وسابقين. وهنا يقول في السابقين إنهم ثلة أي جماعة من الأولين أي[1] من الأمم الماضية الذين أسلموا وسبقوا إلى الإسلام مع أنبيائهم، وقليل من الآخرين[2] أي من هذه الأمة أمة محمد ﷺ وهم الذين سبقوا الى الإيمان والهجرة والجهاد يذكر نعيمهم فيقـول وقوله الحق: ﴿على سرر موضونة﴾ أي إنهم على سرر موضونة أي منسوجة ومشبكة بالذهب والجواهر، حال كونهم متكئين عليها متقابلين لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر بل إلى وجهه، ﴿يطوف عليهم﴾ أي للخدمة ﴿ولدان﴾ غلمان ﴿مخلدون﴾[3] لا يكبرون فيهرمون ولا يتغيرون بل يبقون كذلك أبداً يطوفون عليهم بأكواب جمع كوب وهو قدح لا عروة له، وأباريق جمـع ابـريق وهـو إناء له عروة وخرطوم، ﴿وكأس من معين﴾ والكأس هنا إناء شرب الخمر والمعين ما كان جاريا لا ينضب والمراد بكأس من نهر الخمر.

وقوله تعالى ﴿ لا يصدعون[4] عنها﴾ أي لا يصيبهم صداع من شربها، ولا ينزفون[5] أي لا تذهب عقولهم بشربها بخلاف خمر الدنيا فإنها تصيب شاربها بالصداع وذهاب العقل غالباً وقوله تعالى ﴿وفاكهة﴾ ويطوف عليهم الغلمان بفاكهة وهو ما يتفكه به وليس بغذاء رئيسي ومن سائر الفواكه، مما يتخيرون أي يختارون. ولحم طير مما يشتهون أي مما تشتهيه أنفسهم.

وقوله ﴿وحور عين﴾ أي ولهم في الجنة حور عين يستمتعون بهن، واحدة الحور حوراء. وهي البيضاء وواحدة العين العيناء وهو واسعة العينين والحَوَر في العين أن يكون بياضها أكثر من

---

(١) قوله: ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) اعتراض بين جملة (في جنات النعيم) وجملة: (على سرر مَوْضُونة) وثلة: خبر لمبتدأ محذوف أي هم: ثلة الخ.

(٢) من الأولى والثانية تبعيضية.

(٣) قيل: إنهم على سن واحدة، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الولدان هم أولاد المسلمين الذين يموتون صغاراً. وقال سلمان: هم أولاد المشركين الذين يموتون صغارا. والله أعلم.

(٤) التصديع: الإصابة بالصداع، وهو وجع الرأس من الخُمار الناشيء عن السكر أي لا تصيبهم الخمر بصداع، وعنها بمعنى: لا يصيبهم صداع ناشيء عنها.

(٥) قرأ نافع (يُنزفون) بفتح الزاي من: أنزفه وقرأها حفص (ينزفون) بكسر الزاي من أنزف القاصر، إذا سكر وذهل عقله.

سوادها وهو ضرب من الجمال، وقوله ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي المصون في كِنّه أو صدفه. يريد أنهن جميلات مصونات غير مبتذلات وقد تقدم في الرحمن أنهن مقصورات في الخيام. وقوله تعالى ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي جزاهم ربهم جزاء بما كانوا يعملونه من الصالحات بعد الإيمان والتوحيد وترك المعاصي.

وقوله تعالى وهو من إتمام النعيم أنهم لا يسمعون في جنات النعيم ما يكدر صفو نعيمهم أو ينغص لذة حياتهم من قول بذيء سيّء فلا يسمعون فيها أي في الجنة لغواً أي[1] كلاماً فاحشاً ولا تأثيما وهو ما يؤثم قائله وسامعه. إلا قيلا أي قولا سلاماً سلاماً أي إلا ماكان من سلام الرب تعالى عليهم وهو أكبر نعيمهم وسلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض اللهم اجعلنا منهم قل آمين أيها القاريء، واطمع فإن ربنا غفور رحيم سميع الدعاء قريب مجيب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير البعث والجزاء بذكر أحوال الدار الآخرة.

٢ـ بيان شيء من نعيم أهل الجنة وخاصة السابقين منهم.

٣ـ بيان ان السابقين يكونون من سائر الأمم المسلمة.

٤ـ بيان فضل خمر الجنة على خمر الدنيا المحرمة.

٥ـ تقرير قاعدة أن الجزاء من جنس العمل.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

(١) اللغو من الكلام في الدنيا هو: مالا يحصل حسنة للمعاد ولا درهما للمعاش وفي الآخرة هو ما لا يسر من كل قول إذ الحياة: حياة سعادة وسرور وحبور.

شـرح الكلمات :

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين : هذا شروع في ذكر الزوج الثاني من الأزواج الثلاثة فذكر السابقين وما أعد لهم وهذا ذِكرٌ لأصحاب اليمين وما أعد لهم من نعيم مقيم.

في سدر مخضود : في شجر السدر وثمرهُ النبق ومخضود لا شوك فيه.

وطلـح منضـود : أي شجر موز منضود الحمل من أعلاه إلى أسفله فليس له ساق بارزة.

وظـل ممـــدود : أي دائم إذ لا شمس تنسخه وإن ظل شجرة في الجنة يسير الراكب فيه مائة سنة لا يقطعه.

وماء مسـكوب : أي مصبوب لا يحتاج المتنعم بأن يصبه بيده بل هو سائل في غير أخدود أو أنبوب.

لا مقطوعة ولا ممنوعة : أي غير مقطوعة في زمن، ولا ممنوعة بثمن.

وفرش مرفـوعة : أي على السرر العالية الرفيعة.

إنا أنشأناهن انشاء : أي الحور العين اللائي تقدم ذكرهن في قوله وحور عين. إذْ كانت الـواحدة منهن في الدنيا عجوزاً شمطاء عمشاء رمصاء فأنشأها ربها إنشاء جديداً بِكْراً تتغنج وتتعشق عرباء تتودد لزوجها وتتحبب.

فجعلناهن أبكاراً : الواحدة بكر وهي التي لم تفتض بكارتها بعد وتسمى العذراء.

عُـربـاً : الواحدة عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل.

أتـراباً : أي مستويات في السن الواحدة يقال لها تِربٌ والجمع أتراب.

لأصحاب اليمين : وهم الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين وهم أهل الإيمان في الدنيا والعمل الصالح فيها.

ثلة من الأولين : أي من الأمم السابقة.

وثلة من الآخرين : أي من أمة محمد ﷺ.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال الآخرة وذكر ما لكل صنف من أصناف الناس الثلاثة من سابقين وأصحاب يمين وأصحاب شمال فقال تعالى ﴿وأصحاب اليمين﴾[1] وهم الذين إذا وقفوا في عرصات القيامة أُخذ بهم ذات اليمين وهم أهل الإيمان والتقوى في الدنيا وقوله تعالى : ﴿ما أصحاب اليمين﴾[2] تفخيم لشأنهم وإعلان عن كرامتهم ثم بيّن ذلك بقوله : ﴿في سدر[3] مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة[4] ، وفرش مرفوعة﴾ إنهم في هذا النعيم الدائم المقيم إنهم يتفكهون بالنبق الذي هو أحلى من العسل وأنعم من الزبد شجره مخضود الشوك لا شوك به ، ويتفكهون بالطلح أي ثمره وهو الموز ، والماء المصبوب الجارى ، والفاكهة الكثيرة التي لا تقطع بالفصول الزمانية كما هي الحال في فاكهة الدنيا يوجد منها في الصيف مالا يوجد في الشتاء مثلا ولا ممنوعة بثمن غال ولا رخيص وفي فرش مرفوعة عالية علو الدرجات التي هي فيها وقوله : ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾[5] يعني الحور العين اللائي سبق في الآيات ذكرهن منهن من أنشأهن الله إنشاء لم يسبق لهن خلق ووجود ، ومنهن نساء الدنيا فقد كانت فيهن السوداء والعمشاء والرمصاء والعجوز فيعيد تعالى إنشاءهن فيجعلهن من بين الحور العين كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وقوله ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عذارى لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان عُربا أتراباً العروب[6] هي المتحببة الى زوجها العاشقة له المتغنجة والأتراب المتساويات في السن ، وتربُ[7] الإنسان من وُلد معه في وقت واحد فمس جلده التراب مع مس التراب جلدك وقوله لأصحاب اليمين أي أنشأ هؤلاء الحور العين لأجل أصحاب اليمين ليستمتعوا بهن . وقوله ﴿ثلة من الأولين﴾ أي من الأمم الماضية ﴿وثلة من الآخرين﴾ أي من هذه الأمة المسلمة اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وادخلنا الجنة معهم .

---

(١) هذا شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة على إثر تفصيل شؤون السابقين .

(٢) الإخبار بـ (ما أصحاب اليمين) : فيه من التفخيم ما فيه ! !

(٣) خبر محذوف المبتدأ تقديره : هم في سدر .

(٤) لا مقطوعة ولا ممنوعة : هذا وصف للفاكهة ، والنفي هنا أثبت من الإثبات لأنه بمنزلة وصف وتوكيد .

(٥) لما ذكر الفرش قد يخطر بالبال هل هناك نساء يكن بصحبة أهلها؟ فأجيب بقوله : (إنا أنشأناهن) أي : الحور العين (إنشاءً) فكانت الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ، وضمير المؤنث (أنشأناهن) عائد إلى غير مذكور في الكلام لكنه ملحوظ في الأفهام .

(٦) العرب : جمع عروب ، ويقال : عَرِبَة ويجمع على عربات ، وهذا اسم خاص بالمرأة المتحببة إلى زوجها كما في التفسير .

(٧) الأتراب : جمع ترب وهي المرأة التي تساوى سنها سن من تضاف إليه من النساء ، وقيل : إن الترب خاص بالمرأة ، وأما المساواة في السن من الرجال فيقال له قِرن ، ولِدَة .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان إكرام الله وإنعامه على المؤمنين المتقين.

٢ـ بيان أن العجوز في الدنيا إذا دخلت الجنة تصير شابة حسناء حوراء عروباً.

٣ـ تقرير أن ثمن الجنة الإيمان والتقوى فلا دخل للحسب ولا للنسب والأول كالآخر على حد سواء فيها.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

شـرح الكلمات :

وأصحاب الشـمال : أي هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال في الموقف يوم القيامة وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا.

في سـموم : أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسد.

وحمـيم : أي ماء حار شديد الحرارة.

وظـل من يـحموم : أي دخان شديد السـواد.

لا بـارد ولا كريم : أي لا بارد كغيره من الظلال ولا كريم حسن المنظر.

كانوا قبل ذلك : أي في الدنيـا.

مترفيـن : أي منعمين لا ينهضون بالتكاليف الشرعية ولا يتعبون في طاعة الله ورسوله.

يصرون على الحنث العظيم : أي الذنـب العظيم وهو الشرك.

وكانوا يقولون أئذا متنا الآن : أي وكانوا ينكرون البعث الآخر.

لمجموعون الى ميقات يوم معلوم : أي لوقت يوم معلوم وهو يوم القيامة.

أيها الضالون المكذبون : أي الضالون عن طريق الهدى المكذبون بالبعث والجزاء.

من شجر من زقـوم : أي من أخبث الشجـر المـرّ في غاية الكراهة والبشاعة طعماً ولوناً.

فشاربون شرب الهيم : أي شاربون شرب الإبل العطاش، إذ الهيمان العطشان والهيمى العطشى.

هذا نزلهم يوم الدين : أي هذا ما أعد لهم من قرىً يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في بيان أحوال الأصناف الثلاثة التي انقسمت البشرية إليها عند خروجها من قبورها فذكر حال السابقين وحال أصحاب اليمين وذكر هنا حال أصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال فقال تعالى: ﴿وأصحاب[1] الشمال ما أصحاب الشمال﴾ تنديد بحالهم وإعلان عن سوء عاقبتهم وما هم فيه من عذاب إنهم ﴿في سموم[2]﴾ أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسم ﴿وحميم﴾ وهـو ماء حار شديد الحـرارة هذا شرابهم، ﴿وظل من يحموم[3] لا بارد ولا كريم﴾ إنه دخان أسود شديد السواد ﴿لا بارد﴾ كغيره من الظلال ﴿ولا كريم﴾ أي وليس بذي حسن في منظره. وقوله تعالى ﴿إنهم[4] كانوا قبل ذلك مترفين[5]﴾ هذه علة جزائهم بالعذاب الأليم

(١) هذا شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التوزيع إلى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين.

(٢) (السموم) : الريح الشديدة الحرارة التي لا بلل معها كأنها مأخوذة من السم.

(٣) اليحموم: الدخان الأسود مشتق من الحمم على وزن صُرد اسم للفحم والحممة: الفحمة. وفي قوله تعالى: (وظـلّ من يحموم) تهكم ظاهر.

(٤) الجملة تعليلية إذ هي علة لما أصاب أصحاب الشمال من الهون والدون والعذاب الأليم.

(٥) ظاهر اللفظ أنّ الترف هو سبب كفرهم وإصرارهم على ذلك وجائز أن يكون الترف بعض السبب لا كله، والعبرة بالواقع والإشارة في قوله: (قبل ذلك) عائدة إلى السموم واليحموم والظل من اليحموم.

إنهم كانوا في الدنيا منعمين لا يصلون ولا يصومون ولا يجاهدون ولا يرابطون، ﴿وكانوا يصرون[1] على الحنث العظيم﴾ أي على الإثم العظيم أي الشرك وكبائر الإثم والفواحش.

﴿وكانوا يقولون﴾ منكرين للبعث والجزاء جاحدين باليوم الآخر - ﴿أئذا متنا[2] وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أي أحياء كما كنا في الدنيا ﴿أو آباؤنا﴾ أيضا مبعوثون كذلك والاستفهام في الموضعين للاستبعاد والإنكار. وهنا أمر تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يرد عليهم بقوله ﴿قل﴾ أي قل لهم: ﴿إن الأولين والآخرين﴾ أي أنتم وآباؤكم من عهد آدم والآخرين منكم ومن ذريتكم الى نهاية حياة الإنسان ﴿لمجموعون[3] الى ميقات يوم معلوم﴾ أي لوقت يوم معلوم عند الله محدد باليوم والساعة والدقيقة ﴿ثم[4] إنكم أيها الضالون﴾ عن سبيل الهدى المعرضون عن الحق المكذبون بالبعث لداخلون جهنم ماكثون فيها أبداً و إ نكم ﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ وهو شر ثمر وأخبث ما يؤكل مرارة ﴿فمالئون منه﴾ بطونكم لما يصيبكم من الجوع الشديد، ﴿فشاربون عليه من الحميم، فشاربون شرب[6] الهيم﴾ أي الماء الحار الشديد الحرارة مكثرين منه كما تكثر الإبل الهيم[5] التى أصابها العطش واشتد بها داء الهيام الذي أصابها. قوله تعالى ﴿هذا نزلهم[7] يوم الدين﴾ أي هذا الذي ذكرنا من طعام الضالين المكذبين وشرابهم هو نزلهم الذي ننزلهم يوم الدين وأصل النزل ما يعد للضيف النازل من قرى: طعام وشراب وفراش.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- أصحاب الشمال يدخل فيهم كل كافر وجد على وجه الأرض فإنهم في التقسيم ثلث الناس وفي الواقع هم أضعاف اضعاف السابقين واصحاب اليمين لأن أكثر الناس لا يؤمنون.

٢- التنديد بالترف والتنعم في هذه الحياة الدنيا فإنه يقود الى ترك التكاليف الشرعية فيهلك

---

(١) صيغة المضارع (يصرون) دالة على تجدد الإصرار منهم.

(٢) قرأ الجمهور ومنهم حفص بإثبات الاستفهام الأول والثاني، وقرأ نافع بالاستفهام في (أإذا متنا) والإخبار في (إنا لمبعوثون).

(٣) (مجموعون): أي: مبعوثون دفعة واحدة جميعاً دفعاً لما قد يتوهم أنهم يبعثون على فترات كما كان وجودهم وموتهم في الدنيا على فترات مختلفة.

(٤) هذا من جملة أمر الرسول ﷺ أن يقوله لهم.

(٥) الهيم: جمع أهيم وهو البعير الذي أصابه الهُيام بضم الهاء وهو داء يصيب الإبل يورثها حمى في الأمعاء فلا تزال تشرب ولا تروى والمؤنث هيمى إذ المذكر أهيم.

(٦) قرأ نافع وحفص: (شُرب) بضم الشين، وقرأ بعض شرب بفتح الشين مصدر شرب يشرب شرباً.

(٧) النزل: بضم النون والزاي: ما يُعد للضيف ويقدم له من طعام وشراب وهو هنا تشبيه تهكمي كالاستعارة كما في قول الشاعر:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

صاحبه لذلك لا لكون طعامه وافراً وشرابه لذيذاً.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بما لا مزيد عليه من العرض والوصف لحال الناس.

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

نحن خلقناكم : أي أوجدناكم من العدم.

فلولا تصدقون : أي فهلا تصدقون بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة بعد الفناء والبلى.

أفرأيتم ما تمنون : أي الذي تصبونه من المنى بالجماع في أرحام نسائكم.

أأنتم تخلقونه : أي بشراً أم نحن الخالقون له بشراً.
نحن قدرنا بينكم الموت : أي قضينا به عليكم وكتبناه عليكم وجعلنا لكل واحد أجلاً معيناً لا يتعداه ولا يتأخر منه بحال من الأحوال.
وما نحن بمسبوقين : أي بعاجـزين.
على أن نبدل أمثالكم : أي ما أنتم عليه من الخلق والصور.
وننشئكم فيما لا تعلمون : أي ونـوجـدكم في صور لا تعلمـونها وهذا تهديد لهم بمسخهم وتحويلهم إلى أبشع حيوان وأقبحه.
ولقد علمتم النشأة الأولى : أي ولقد علمتم خلقنا لكم كيف تم وكيف كان.
أفلا تـذكرون : فتعلمـون أن الـذي خلقكم أول مرة قادر على إعـادة خلقكم مرة أخرى بعد موتكم وفنائكم.
أفرأيتم ما تحرثون : أي من إثارة الأرض بالمحراث وإلقاء البذر فيها.
أأنتم تزرعونه : أي تنبتونه.
أم نحن الزارعون : أي نحن المنبتون له يقال زَرَعَه الله أي أنبته.
لو نشاء لجعلناه حطاما : أي لو نشـاء لجعلنـا الزرع حطاماً يابساً بعد أن أصبح سنبلاً وقارب أن يفرك فتحرمون منه.
فظلتم تفكهـون : أي تتعجبون في مجالسكم من الجائحة التي أصابت زرعكم.
إنا لمغرمون : أي قائلين إنا لمغرمون أي ما أنفقناه على حرثه ورعايته معذبون به.
بل نحن محرومون : أي لسنا بمعذبين به وانما نحن محرومون من زرعنا وما بذلناه فيه ليس لنا من حظ ولا جد أي غير محظوظين ولا مجدودين.
أفرأيتم الماء الذي تشربون : أي أخبرونا عن الماء الذي تشربونه وحياتكم متوقفة عليه.
أأنتم انزلتموه من المزن : أي من السحاب في السماء الى الأرض.
أم نحن المنزلون : أي له إلى الأرض.
لونشاء لجعلناه أجاجا : أي ملحاً مراً لايمكن شربه.

فلولا تشــكرون : أي فهلا تشكرون أي الله بالإيمان والطاعة .

أفرأيتم النار التي تورون : أي أخبرونا عن النار التي تخرجون من الشجر.

أأنتم انشأتم شجرتها : أي خلقتم شجرتها كالمرخ والعفار والكلخ .

أم نحن المنشئـون : أي نحن المنشئون لتلك الأشجـار.

نحن جعلناها تذكرة : أي جعلنا تلك النار تذكرة اي تذكر بنار جهنم .

ومتاعاً للمقوين[1] : أي بُلغةً للمسافرين يتبلغون بها في سفرهم .

فسبح باسم ربك العظيم : أي نزه اسم ربــك عمـا لا يليق به كذكره بغير احترام ولا تعظيم او الاسم صلة والتقدير نزه ربك عن الشريك ومن ذلك قولك سبحان ربي العظيم .

معنى الآيـات :

السياق هنا في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون وذلك بذكر الأدلة العقلية المـوجبـة للعلم واليقين في المعلوم المـطلوب تحصيله قال تعـالى ﴿نحن[2] خلقناكم﴾ وأنتم معترفون بذلك إذ لمّا نسألكم من خلقكم تقولون الله . إذاً ﴿فلولا تصدقون[3]﴾ أي فهلا تصدقون بالبعث والحياة الثانية إذ القادر على الخلق الأول قادر على الإعادة. وهذه أدلة قدرتنا تأملوها أولاً ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ أي أخبرونا عما تمنون أي تصبونه في أرحام نسائكم بالجماع ﴿أأنتم[4] تخلقونه﴾ ولداً ﴿أم نحن الخالقون﴾ والجواب نحن الخالقون إذاً القادر على خلقكم بواسطة هذا الإمناء والتكوين في الأرحام قادر على خلقكم بطريق آخر وثانيا ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت﴾ وقضينا به عليكم فلا يستطيع أحد منكم أن يمنعنا من إماتته وفي الوقت المحدد له. بحيث لو طلب التقديم أو التأخير لما قدر على ذلك أليس القادر على خلقكم وإماتتكم قادر على بعثكم

---

(١) المقوى: من نزل القوى والقواء والقي أيضاً: أي الأرض القفر التي لا شيء فيها ولا أنيس بها يقال: أقوت الدار وقويت أيضاً أي: خلت من سكانها، قال النابغة:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقال عنترة:

حييت من طلل تقادم عهده   أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

(٢) موقع هذه الجملة: الاستدلال والتعليل لما تضمنته جملة (إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) من عقيدة البعث والجزاء وتقريرها.

(٣) الفاء للتفريع فالجملة متفرعة عن قوله تعالى (نحن خلقناكم) وهي متضمنة للتحضيض على التصديق بالبعث الآخر إذ لولا هنا للتحضيض على ذلك.

(٤) الاستفهام للتقرير بتعيين خالق الجنين من النطفة إذ لا يسعهم إلا الإقرار بأن خالق الجنين من النطفة هو الله.

بلى وثالثاً ﴿وما نحن بمسبوقين[1] على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ بحيث نخلقكم في صور وأشكال غير ما أنتم عليه فنخلقكم خلقاً ذميما وقبيحاً كالقردة والخنازير، وما نحن بعاجزين عن ذلك فهل نعجز إذاً عن بعثكم بعد موتكم أحياء لنحاسبكم ونجزيكم ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ كيف تمت لكم بما لا تنكرونه .

إذاً ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على خلقكم ثانية مع العلم أن الإعادة ليست بأصعب من الإنشاء من عدم لا من وجود . ورابعاً ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾[2] من إثارة الأرض وإلقاء البذر فيها أخبرونا أأنتم تنبتون الزرع ﴿أم نحن الزارعون﴾ له أي المنبتون والجواب معروف وهو أننا نحن الزارعون لا أنتم . إذاً فالقادر على إنبات الزرع قادر على إنباتكم في قبوركم على نحو إنبات الزرع وعجب الذنب هو النواة التي تنبتون منها وخامسا هو أن ذلك الزرع الذي أنبتناه لو نشاء لجعلناه بعد نضرته وقرب حصاده حطاما يابساً لا تنتفعون منه بشيء فظلتم[3] تفكهون متعجبين من حرمانكم من زرعكم تقولون ﴿إنا لمغرمون﴾ أي ما أنفقناه على حرثه و رعايته معذبون[4] به ثم تضربون عن قولكم ذلك إلى قول آخر وهو قولكم ﴿بل نحن محرومون﴾ ما لنا من حظ ولا جد فيه أي لسنا محظوظين ولا مجدودين . إن إنبات الزرع ثم حرمانكم منه بعد طمعكم في الانتفاع به مظهر من مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وتدبيره وكلها دالة على قدرته على بعثكم لمحاسبتكم ومجازاتكم على عملكم في هذه الحياة الدنيا . وسادسا الماء الذي تشربون وحياتكم متوقفة عليه أخبروني ﴿أأنتم أنزلتموه﴾ من السحاب ﴿أم نحن المنزلون﴾ والجواب نحن المنزلون لا أنتم هذا أولاً وثانياً لو نشأ لجعلنا الماء ملحاً مرّاً لا تنتفعون منه بشيء وإنا لقادرون فهلا تشكرون هذا الإحسان منا إليكم بالإيمان بنا والطاعة لنا . وسابعا النار التي تورون وتشعلونها أخبروني ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ والجواب نحن لا أنتم فالذي يوجد النار في الشجر قادر على أن يبعثكم أحياء من قبوركم ليحاسبكم على

---

(١) السبق : كناية عن الغلبة والتعجيز، لأن السبق يستلزم أن السابق غالب للمسبوق فمعنى : وما نحن (بمسبوقين) أي . غير مغلوبين . قال الشاعر:

كأنك لم تسبق من الدهر مرة ... إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

(٢) الشبه قوي بين تحويل النطفة إلى جنين، والحبة إلى نبات فهي مناسبة عجيبة بين الدليلين.

(٣) أصل (فظلتم) فظللتم فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً كما حذفت إحدى التاءين من (تفكهون) إذ الأصل (تتفكهون).

(٤) هذا بناء على أنّ الغرام : هو العذاب كقوله تعالى : (إن عذابها كان غراما) أو هو من الغرامة التي هي ذهاب مال المرء وأخذه منه بغير عوض.

سلوككم ويجـزيكم به. وقـوله تعالى ﴿نحن جعلناها﴾ أي النار ﴿تذكرة﴾ لكم تذكركم بنار الآخرة فالذي أوجد هذه النار قادر على إيجاد نار أخرى لو كنتم تذكرون وجعلناها أيضاً متاعاً أي بلغـة للمقوين[1] المسافرين يتبلغون بها في سفرهم حتى يعودوا إلى ديارهم. فالقادر على الخلق والإيجاد والتدبير لمصالح عباده قادر على إيجاد حياة أخرى يجزي فيها المحسنين اليوم والمسيئين إذ الحكمة تقتضي هذا وتأمر به.

وقوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك[2] العظيم﴾ بعد إقامة الحجة على منكرى البعث بالادلة العقلية امر تعالى رسوله أن يسبح ربه أي ينزهه عن اللعب والعبث اللازم لخلق الحياة الدنيا على هذا النظام الدقيق ثم إفنائها ولا شيء وراء ذلك. إذ البعث والحياة الآخرة هي الغاية من هذه الحياة الدنيا فالناس يعملون ليحاسبوا ويجزوا فلا بد من حياة أكمل وأتم من هذه الحياة يتم فيها الجزاء وقد بينها تعالى وفصلها في كتبه وعلى ألسنة رسله، وضرب لها الأمثال فلا ينكرها الا سفيه هالك.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجـزاء.

٢ـ إقامة الأدلة والبراهين العديدة على صحة البعث وإمكانه عقلا.

٣ـ بيان منن الله تعالى على عباده فى طعامهم وشرابهم.

٤ـ وجوب شكر الله تعالى على إفضاله وإنعامه.

٥ـ في النار التى توقدها عبرة، وعظة للمتقين.

٦ـ وجوب تسبيح[3] الله وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله من العبث والشريك.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(١) المقوى: الداخل في القواء وهو القفر، فالمقوون، الداخلون في القواء الذي هو القفر والقفار وهذه حال المسافر، والمقوى أيضاً: الجائع القفر البطن الخاوي من الطعام، فالنار يتمتع بها المسافرون للاستضاءة والاستدفاء وطبخ الطعام.

(٢) الباء في باسم: زائدة لتوكيد اللصوق أي: اتصال الفعل بمفعوله وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب والتعقيب، واسم الرب هو الله الدال على ذاته سبحانه وتعالى، والتسبيح. التنزيه عما لا يليق ولفظه سبحان الله أي: ننزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث.

(٣) في الصحيح: (لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم) قال الرسول ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم) فكان المصلي إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم ثلاثاً أو أكثر امتثالا لأمر الله ورسوله).

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

فلا أقسم : أي فأقسِمُ ولا صلة لتقوية الكلام وتأكيد القسم .

بمواقع النجوم : أي بمساقطها لغروبها وبمنازلها أيضا ومطالعها كذلك .

وإنه : أي القسم بها .

لو تعلمون عظيم : أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم .

إنه : أي المتلو عليكم لقرآن كريم وهو الذي كذب به المشركون .

في كتاب مكنون : أي مصون وهو المصحف .

لا يسمه الا المطهرون : أي من الملائكة والأنبياء وكل طاهر غير محدث حدثا أكبر وأصغر

تنزيل من رب العالمين : أي منزل من رب العالمين وهو الله جل جلاله .

أفبهذا الحديث : أي القرآن .

أنتم مدهنون : أي تلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر .

وتجعلون رزقكم : أي شكر الله على رزقكم .

أنكم تكذبون : أي تكذيبكم بسقيا الله وتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾[١] أي أقسم بمواقع النجوم وهي مطالعها ومغاربها وإنه أي قسمي هذا لقسم لو تعلمون أي لو كنتم من أهل العلم عظيم . لأن النجوم ومنازلها ومطالعها ومساقطها ومغاربها التي تغرب فيها أمور عظيمة في خلقها وتدبير الله فيها انه لقسم بشيء عظيم .

---

(١) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين أي : فاقسم بمواقع النجوم وقيل : هي نفي أي ليس الامر كما تقولون ثم استانف فقال : فأقسم كقول الرجل : لا والله ما كان كذا وكذا ، ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام سابق وقيل : لا بمعنى الا أداة تنبيه وشاهده قول الشاعر:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي   وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

والمقسم عليه هو قوله إنه أي المكذب به لقرآن كريم[1]، لا كما قال المبطلون شعر وسحر وكذب واختلاق ﴿في كتاب مكنون﴾ أي مصون ﴿لا يمسه إلّا المطهرون﴾ سواء ما كان في اللوح المحفوظ أو في مصاحفنا فلا ينبغي أن يمسه إلّا المطهرون من الأحداث الصغرى[2] والكبرى ﴿تنزيل[3] من ربّ العالمين﴾ أي منزل منه سبحانه وتعالى ولذا وجب تقديسه وتعظيمه فلا يمسه إلّا طاهر من الشرك والكفر وسائر الأحداث.

وقوله تعالى ﴿أفبهذا الحديث﴾ أي القرآن أنتم مدهنون تُلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم على التكذيب بهوالكفروتجعلون رزقكم[4] أي وتجعلون شكر الله تعالى على رزقه لكم أنكم تكذبون أي تكذيبكم بسقيا الله لكم بالأمطار وتقولون مطرنا بنوء كذا ونوء كذا.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، وان العبد لا يقسم إلا بربه تعالى.

٢ـ تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية، وأن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى.

٣ـ وجوب صيانة القرآن الكريم، وحرمة مسه على غير طهارة.

٤ـ حرمة المداهنة في دين الله تعالى وهي أن يتنازل عن شيء من الدين ليحفظ شيئا من دنياه والمداراة جائزة وهي أن يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ

(١) (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق، ومعالي الأمور ولأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه ويسعد وينجو العامل به.

(٢) قال القرطبي : اختلف في مس المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع لحديث عمرو بن حزم، وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي وأحمد.

(٣) (تنزيل) بمعنى : منزّل من إطلاق المصدر وإرادة المفعول كالرد بمعنى المردود

(٤) صلح وضع لفظ الرزق موضع الشكر لأن شكر الرزق يسبب الزيادة في الرزق فأطلق السبب وأريد المسبب.

ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

شـرح الكلمـات :

فلولا : أي فهـلاّ وهي للحض على العمل والحث عليه.

إذا بلغت الحلقوم : أي مجرى الطعام وذلك وقت النزع.

وأنتم تنظرون : أي وأنتم أيها الممرضون والعواد تنظرون إليه.

ونحن أقرب إليه منكم : أي ورسلنا ملك الموت وأعوانه أقرب إلى المحتضر منكم.

ولكن لا تبصـرون : أي الملائـكة.

فلولا إن كنتم غير مدينين : أي فهلا إن كنتم غير مدينين أي محاسبين بعد الموت.

ترجعونها ان كنتم صادقين : أي ترجعون الروح الى الجسم بعد وشوك مفارقتها له إن كنتم صادقين في انكم لا تبعثون ولا تحاسبون.

فأما إن كان : أي الميت.

من المقربين : أي من السابقين وهو الصنف الأول من الأصناف الثلاثة التي تقدمت في أول السورة.

فروح وريحـان : أي استراحة وريحان أي رزق حسن وجنّة نعيم.

وأما إن كان من أصحاب اليمين : أي من الصنف الثاني فسلام لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين. أي من اخوانك يسلمون عليك فإنهم في جنات النعيم.

فنزل من حميم : أي فله نزل من ماء حار شديد الحرارة.

وتصلية جحيم : أي احتراق بها.

إن هذا لهو حق اليقين : أي إن هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة لهو حق اليقين.

فسبح باسم ربك العظيم : أي نزه وقدس اسم ربك العظيم.

معنى الآيات :

بعد تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن كلام الله وتنزيله عاد السياق الكريم الى تقرير البعث والجزاء فقال تعالى[1] ﴿فلولا إذا بلغت﴾ أي الروح[2] ﴿الحلقوم﴾ وهو مجرى الطعام ﴿وأنتم﴾[3] في ذلك الوقت ﴿تنظرون﴾ مريضكم وهو يعانى من سكرات الموت، ونحن أقرب إليه منكم أي رسلنا أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون إذ لا قدرة لكم على رؤية الملائكة ما لم يتشكلوا في صورة إنسان. وقوله ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ أي محاسبين بعد الموت ومجزيين بأعمالكم ترجعونها الروح بعد ما بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين فى أنكم غير مدينين لله بأعمالكم، أى فلا يحاسبكم عليها ولا يجزيكم بها.

وقوله تعالى[4] ﴿فأما إن كان﴾ أي المحتضر من المقربين وهم السابقون ﴿فروح وريحان﴾[5] أي فإن له الاستراحة التامة من عناء تعب الدنيا وتكاليفها وريحان وهو الرزق الحسن وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين الذين سبقوك الى دار السلام.

وأما إن كان المحتضر من المكذبين لله ورسوله المنكرين للبعث الآخر الضالين عن الهدى ودين الحق ﴿فنـزل من حميم﴾ أي ضيافة على الماء الحار هذه ضيافته وتصلية[6] جحيم أي واحتراق بالجحيم.[7]

وقوله تعالى ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾[8] أي هذا الذي حدثناك به عن المحتضرين الثلاثة وما لهم وما نالهم لحق اليقين. وقوله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ يأمر تعالى رسوله بالتسبيح باسم

---

(١) لم يجر للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها كما قال حاتم.

أما وي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

(٢) (لولا) حرف تحضيض مستعمل هنا في التعجيز، لأن المحضوض إذا لم يفعل ما حُض عليه كان عاجزا (وإذا بلغت) ظرف متعلق بـ (ترجعونها) مقدم عليه لتهويله والتشويق إلى الفعل المحضوض عليه.

(٣) (وأنتم) الجملة حالية وكذا جملة (ونحن أقرب إليه منكم) حالية ايضاً.

(٤) الفاء للتفريع إذ ما بعدها من بيان حال من مات من سعادة أو شقاء متفرع عن الموت وانتهاء الحياة.

(٥) الروح: الراحة أي: هو في راحة ونعيم، وعلى قراءة رُوح بضم الراء فالمعنى: أن روح المؤمن معها الريحان وهو الطيب والريحان شجر لورقه وقضبانه رائحة ذكية طيبة.

(٦) التصلية: مصدر صلّاهُ المشدد: إذا أحرقه وشواه يقال: صلى اللحم تصلية: إذا شواه والجحيم: النار المؤججة، وهو علم على جهنم دار العذاب.

(٧) هذه الجملة تذييل لجميع ما تقدم في هذه السورة من وعد ووعيد واستدلال على تقرير النبوة والبعث والتوحيد ويدخل فيه دخولا أولياً الأقرب ذكراً وهو ما ذكر في التفسير.

(٨) اشتملت جملة: (إن هذا لهو حق اليقين) على أربع مؤكدات وهي: إن، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين وهما: الحق واليقين، وخامس وهو الجملة الاسمية لإفادتها الدوام والثبوت.

ربـه العظيم صح أنه لما نزلت هذه الآية قال ﷺ لأصحابه اجعلوها في ركوعكم، والتسبيح التقديس والتنزيه لله تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان عجز كل الناس أمام قدرة الله تعالى.

٣- ان في عجز الإنسان على رد روح المحتضر ليعيش بعد ذلك ولو ساعة دليلا على أنه لا إله إلا الله

٤- بيان فضل السابقين عن أصحاب اليمين.

٥- القرآن الكريم أحكامه كلها عدل وأخباره كلها صدق.

٦- مشروعية قول العبد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهما من الكلم الطيب وكذا سبحان ربي العظيم حال الركوع.

سُورَةُ الحَدِيدِ

مدنيـة

وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

شـرح الكلـمات :

سبح لله ما في السموات[1] والأرض	: أي نزه الله تعالى جميع ما في السموات والأرض بلسان الحال والقال.[2]
وهو العزيز الحكيـم	: أي في ملكه، الحكيم في صنعه وتدبيره.
له ملك السموات والأرض	: أي يملك جميع ما في السموات والأرض يتصرف كيف يشاء.
يحيـي ويميت	: يحيى بعد العدم ويميت بعد الإيجاد والإحياء.
وهو على كل شيء قدير	: وهو على فعل كل ما يشاء قدير لا يعجزه شيء.
هو الأول والآخر	: أي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.[3]
والظاهر والباطن	: أي الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء.
وهو بكل شيء عليم	: أي لا يغيب عن علمـه شيء ولـو كان مثقـال ذرة في السموات والأرض.
في ستة أيام	: أي من أيام الدنيا مقدرة بهاأولهاالأحد وآخرها الجمعة.
ثم استوى على العرش[4]	: أي ارتفع عليه وعـلا.

---

(١) (الله) الإله المنفرد بالإلهية ومعنى: سبح نزه وورد لفظ التسبيح بالمصدر في (سبحان الذي أسرى بعبده) وبالماضي في الحشر والحديد والصف، والمضارع في الجمعة والتغابن، والأمر في الأعلى فسبح تعالى بكل ألفاظ التسبيح.

(٢) ردّ أهل العلم القول بأن تسبيح غير العالمين هو تسبيح دلالة لا تسبيح قالة، إذ لو كان تسبيح دلالة وظهور لما قال: (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) إذ تسبيح الدلالة مفهوم معلوم.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنا الدين واغننا من الفقر).

(٤) قال القرطبي: قد جمع تعالى بين الاستواء على العرش وبين (وهو معكم) والأخذ بالظاهر تناقض فدل على انه لابد من التأويل والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض. وأقول: إن كان يعني بالتأويل قول السلف: معنا بعلمه وقدرته فهذا صحيح ومع هذا فإنه لاتناقض أبداً إذ هو تعالى على عرشه بائن من خلقه، والخلق كله بين يديه كحبة خردل يتصرف فيه كما يشاء لا يغيب عن علمه ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يعجزه شيء فيهما ولذا قال بعضهم: إن محمداً ﷺ ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت.

يعلم ما يلج في الأرض : أي ما يدخل في الأرض من كل ما يدخل فيها من مطر وأموات .

وما يخرج منها : أي من نبات ومعادن .

وما ينزل من السـماء : أي من رحمة وعذاب .

وما يعرج فيـها : أي يصعد فيها من الأعمال الصالحة والسيئة .

وهو معكم أينما كنتم : أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم .

والله بما تعملون بصير : أي لا يخفي عليه من أعمال عباده الظاهرة والباطنة شيء .

والى الله ترجع الأمور(1) : أي مرد كل شيء الى الله خالقه ومدبره يحكم فيه بما يشاء .

يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار وذلك في الصيف .

ويولج النهار في الليل : ويدخل جزءاً من النهار في الليل وذلك في الشتاء كما يدخل كامل أحدهما في الآخر فلا يبقى الا ليل أو نهار إذْ احدهما دخل في ثانيهما .

وهو عليم بذات الصدور : أي ما في الصدور من المعتقدات والأسرار والنيات .

معنى الآيـات :

يخبر تعالى في هذه الآيات الخمس عن وجوده وعظمته من قدرة وعلم وحكمة ورحمة وتدبيره وملكه ومرد الأمور إليه وكلها مظاهر الربوبية الموجبة للألوهية فأولا تسبيح كل شيء في السموات والأرض أي تنزيهه عن كل نقص كالزوجة والولد والشريك والوزير المعين والعجز والجهل، ثانيا إنه تعالى العزيز ذو العزة التي لا ترام العظيم الانتقام الحكيم في تدبير ملكه فلا شيء في خلقه هو عبثٌ أو لهوٌ أو باطل .ثالثا له ملك السموات والأرض ملكاً حقيقياً يتصرف كيف يشاء يهب من شاء ويمنع من شاء. رابعاً يحيى من العدم ويميت الحيّ الموجود، خامساً هو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء ولا يعجز عن شيء متى أراد الشيء وقال له كن فهو يكون ولا يتخلف .

---

(١) قرأ الجمهور ونافع وحفص وغيرهما (تُرجع) بالبناء للمفعول وقرأ بعض (ترجع) بالبناء للفاعل، رجوع الأمر معناه: مرد كل شيء إلى الله تعالى إذ هو خالقه ومدبره والحاكم فيه إذ هو رب العالمين وإله الأولين والآخرين.

سادساً: هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء إذ له ميراث السموات والأرض. سابعاً: علمه محيط بكل شيء. ثامناً: خلقه السموات والأرض في ستة أيام الدنيا ابتداء من الأحد وانتهاء بالجمعة وما مسه من لغوب ولا تعب ولا نصب ثم استوى على العرش يدبر ملكوت خلقه بالحكمة ومظاهر العدل والرحمة. تاسعاً: مع علوه وبعده من خلقه فالخلق كله بين يديه يعلم ما يلج في الأرض أي يدخل فيها من أمطار وأموات وما ينزل من السماء من مطر ورحمة وعذاب وملك وغيره، وما يعرج أي يصعد فيها من ملك ومن عمل صالح ودعاء وخاصة دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن الله أبداً. وعاشراً: معية الله تعالى الخاصة والعامة فالخاصة مَعِيّتُهُ بنصره لأوليائه، والعامة عِلْمُهُ بكل عباده وسائر خلقه، وقدرته عليهم وعلمه بهم. الحادي عشر: بصره تعالى بكل أعمال عباده فلا يخفى عليه شيء منها ليحاسبهم بها ويجزيهم عليها. الثاني عشر: له ملك السموات والأرض أي كل ما في السموات وما في الأرض من سائر الخلق هو ملك لله تعالى وحده لاشريك له فيه ولا في غيره. الثالث عشر: رد كل الأمور إليه فلا يقضي فيها غيره ولا يحكم فيها سواه والظاهر منها كالباطن. الرابع عشر: إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل لمصلحة عباده وفائدتهم إذ لولا هذا التدبير الحكيم لما صلح أمر الحياة ولا استقام هذا الوجود.

وأخيراً علمه[1] الذي أحاط بكل شيء وتغلغل في كل خفي حتى ذات الصدور من خاطر ووسواس وهمّ وعزم ونية وإرادة فسبحانه من إله لا إله غيره ولا ربّ سواه، بهذه المظاهر من الكمالات استحق العبادات فلا تصح العبادة لغيره، ولا تنبغي الطاعة لسواه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ فضل التسبيح وأفضله سبحان الله وبحمده[2] سبحان الله العظيم.

٢ـ مظاهر القدرة والعلم والحكمة في هذه الآيات الخمس هي موجبات ربوبية الله تعالى وألوهيته وهي مقتضية للبعث الآخر والجزاء فيه.

٣ـ في خلقه تعالى السموات والأرض في ستة أيام وهو القادر على خلقهما بكلمة التكوين تعليم لعباده التأني في الأمور وعدم العجلة فيها لتخرج متقنة صالحة نافعة.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن اسم الله الأعظم هو في ست آيات: من أول سورة الحديد كأنه يعني مجموع هذه الأسماء والصفات الخمسة عشر.

(٢) في الصحيح: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

٤ـ بطلان دعاء غير الله تعالى ورجاء غيره إذ له ملك السموات والأرض وليس لغيره شيء من ذلك.

٥ـ وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه وتقواه وذلك لعلمه بظواهرنا وبواطننا وقدرته على مجازاتنا عاجلاً وآجلاً.

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

آمنوا بالله ورسوله : أي صدقوا بالله ورسوله يا من لم تؤمنوا بعد واثبتوا على إيمانكم يا من آمنتم قبل.

وأنفقوا : أي وتصدقوا في سبيل الله.

مما جعلكم مستخلفين فيه : أي من المال الذي استخلفكم الله فيه إذ هو مال من قبلكم وسيكون لمن بعدكم.

فالذين آمنوا منكم وأنفقوا : أى صدقوا بالله ورسوله وتصدقوا بأموالهم المستخلفين فيها.

لهم أجر كبيـر : أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة.

ومالكم لا تؤمنون بالله؟ : أي أي شيء يمنعكم من الإيمان.

والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم : أي والحال أن الرسول بنفسِه يدعوكم لتؤمنوا بربكم.

وقد أخذ ميثاقكم : أي على الإيمان به وأنتم في عالم الذر حيث أشهدكم فشهدتم.

إن كنتم مؤمنين : أي مريدين الإيمان فلا ترددوا وآمنوا وأسلموا تنجوا وتسعدوا.

هو الذي ينزل على عبده : أي هو الله ربكم الذي يدعوكم رسوله لتؤمنوا به ينزل على عبده محمد ﷺ.

آيات بينـات : هي آيات القرآن الكريم الواضحات المعاني البينات الدلالة.

ليخرجكم من الظلمات إلى النور : أي ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.

وإن الله بكم لرءوف رحيم : ويدلكم على ذلـك إرسـال رسـولـه إليكم وإنزال كتابه ليخرجكم من الظلمات إلى النور.

ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله : أي أي شيء لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله.

ولله ميراث السموات والأرض : أي ومن ذلك المال الذي بين أيديكم فهو عائد إلى الله فأنفقوه في سبيله يؤجركم عليه. وإلا فسيعود إليه بدون أجر لكم.

من قبل الفتح وقاتل : أي لا يستوى مع من أنفق وقاتل بعد صلح الحديبية حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين.

وكلاً وعد الله الحسنى : أي الجنة، والجنة درجات.

من ذا الذي يقرض الله : أي بإنفاقه ماله في سبيل الله الذي هو الجهاد.

قرضا حسـنا : أي قرضا لا يريد به غير وجه الله تعالى.

فيضاعفه لـه : أي الدرهم بسبعمائة درهم.

وله أجر كريم : أي يوم القيامة وهو الجنة دار النعيم المقيم.

معنى الآيـات

بعد ذكر الأدلة والبراهين على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها وتقرير البعث والجزاء يوم لقائه رحمة منه ورأفة بعباده أمرهم جميعا مؤمنيهم وكافريهم بالإيمان به وبرسـوله محمد ﷺ فالمؤمنون مأمورون بزيادة الإيمان والثبات عليه والكافرون مأمورون بالإيمان والمبادرة إليه. وبما أن الآيات نزلت بالمدينة بعد الهجرة وبعد صلح الحديبية فإن هذه الأوامـر والتوجيهات الإلهية تشمل المؤمنين الصادقين والمنافقين الكاذبين في إيمانهم تشمل الراغبين في الإيمان في مكة وغيرها وهم يترددون في ذلك فوجه الخطاب إلى الجميع لهدايتهم ودخولهم في رحمة الله الإسلام بسرعة ودون تباطيء فقال تعالى ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ أي صدقوا بوحـدانية الله ورسـالـة رسـول الله وأنفقـوا مما جعلكم مستخلفين[1] فيه من الأمـوال، ووجـه الاستخلاف أن العبد يرث المال عمن سبقه ويموت ويتركه لمن بعده فلا يدفن معه في قبره. وقـولـه تعالى ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة والرضوان فيها. وهذا الإخبار يفيد تنشيط الهمم الفاترة والعزائم المترددة. وقوله: ﴿ومالكم لا[2] تؤمنون بالله والرسول[3] يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين[4]﴾ أي أي شيء يجعلكم لا تؤمنون وفرص الإيمان كلها متاحة لكم فإيمانكم الفطرى صارخ في نفوسكم إذ كل من سألكم: من خلقكم؟ من خلق العالم حولكم؟ سماء وأرضا تقولون الله. وأنتم في حَرَمِهِ وحِمى بيته والرسول الكريم بين أيديكم يدعوكم صباح مساء إلى الإيمان بربكم وقد أخذ الله ميثاقكم عليكم بأن تؤمنـوا به وذلك يوم أخرجكم في صورة الذر من صلب آدم أبيكم وأشهدكم على أنفسكم فشهدتم. إذاً ما هذا التردد إن كنتم تريدون الإيمان فآمنوا قبل فوات الأوان.

وقوله تعالى: ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ أي إنكم تدعون إلى الإيمان بالله الـذي ينـزل على عبده ورسوله محمد ﷺ آيات واضحات المعاني بينات الدلائل كل ذلك ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، فما لكم لا تؤمنون إذاً ما هذا التردد والتلكؤ يا عباد الله في الإيمان بالله وبرسول الله، وإن الله بكم لرءوف رحيم فاعـرفوا هذا وآمنوا به ويدلكم على ذلك إنزاله الكتاب وإرساله الرسول وتوضيح الأدلة

---

(١) قوله: (مستخلفين) دال على أن أصل الملك لله تعالى وما العبد إلا مستخلف فيه فتعين أن يتصرف فيه بإذن المالك الحق فلا ينفق إلا حيث يأذن ويرضى سبحانه وتعالى.

(٢) (وما لكم لا تؤمنون) الاستفهام للتوبيخ أي: أيّ عذر لكم في ألا تؤمنوا وكل دواعي الإيمان وأسبابه متوفرة لكم.

(٣) جملة: (والرسول): حالية.

(٤) (إن كنتم مؤمنين) أي: إن كنتم مريدي الإيمان فهذه دواعيه قد كملت وأسبابه قد حضرت أخذ عليكم الميثاق فيه والرسول يدعوكم إليه. فبادروا ولا تباطأوا.

وإقامة الحجج والبراهين.

وقوله: ﴿وما لكم ألا تنفقوا في[1] سبيل الله﴾ التي هي سبيل إسعادكم وإكمالكم بعد نجاتكم من العذاب في الحياتين مع العلم أن لله ميراث السموات والأرض إذ ما بأيديكم هو لله هو واهبه لكم ومسترده منكم فلم لا تنفقون منه.

وقوله تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح[2] وقاتل[3]﴾ أي صلح الحديبية لقول الله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ والمراد به صلح الحديبية. أي لا يستوون في[4] الأجر والمثوبة مع من قاتل وأنفق بعد الفتح. قال تعالى ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً﴾ من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أي الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا يخفى عليه إنفاقكم وقتالكم وعدمهما كما لا يخفى عليه نياتكم وما تخفون في نفوسكم فاحذروه وراقبوه خيراً لكم.

وقوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ أي مخلصا فيه لله طيبة به نفسه ﴿فيضاعفه له﴾ ربه في الدرهم سبعمائة درهم، ﴿وله أجر كريم﴾ ألا وهو الجنة دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب الإيمان بالله ورسوله وتقويته.

٢- وجوب الإنفاق في سبيل الله من زكاة ونفقة جهاد وصدقة على الفقراء والمساكين.

٣- بيان لطف الله ورأفته ورحمته بعباده مما يستلزم محبته وطاعته وشكره.

٤- الإنفاق في المجاعات والشدائد والحروب أفضل منه فى اليسر والعافية.

٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله بمضاعفة الأجر حتى يكون الدينار بألف دينار عند الله تعالى وما عند الله خير وأبقى، وللآخرة خير من الأولى.

---

(١) الاستفهام للتوبيخ واللوم والعتاب وهذا مخاطب به المؤمنون.

(٢) جائز أن يكون المراد بالفتح: فتح مكة، وكونه صلح الحديبية أولى وأرجح.

(٣) في الكلام حذف دل عليه المذكور وهو: (مَنْ أنفق بعد الفتح وقاتل) وقد ذكرته في التفسير بدون الإشارة إلى الحذف.

(٤) روى أشهب عن مالك أنه قال: ينبغي أن يقدم أهل الفضل والعزم وقد قال تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل). ولهذا قدّم أبو بكر على سائر الصحابة لأنه أوّل من آمن وأوّل من أنفق وأوّل من قاتل قدمه رسول الله ﷺ في الصلاة، وقدمه المؤمنون في الخلافة، وقال فيه علي رضي الله عنه: سبق النبي ﷺ وثنى أبو بكر وثلث عمر فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة) ومما يشهد لقول مالك قوله ﷺ (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) وفي بعض الروايات: (ويعرف لعالمنا حقه).

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

شـرح الكـلمات :

يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم[1]	: أي يتقـدمهم نورهم الـذي اكتسبـوه بالإيمـان والعمل الصالح بمسافات بعيدة يضيء لهم الصراط الذي يجتازونه إلى الجنة .
بشـراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار	: أي تقول لهم الملائكة الذين أُعدوا لاستقبالهم بشراكم . .
ذلك هو الفوز العظيم	: أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه .
المنافقون والمنافقات	: أي الـذين كانـوا يخفـون الكفر فى نفوسهم ويظهرون

(١) (يسعى نورهم) عندما يسعون هم إذ هو منهم يتقدمهم فلا ينفصل عنهم بحيث إذا وقفوا وقف وإذا مشوا تقدمهم بين أيديهم .

الإيمان والإسلام بألسنتهم.

نقتبس من نوركم : أي أنظروا إلينا بوجوهكم نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الطريق.

قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً : أي يقال لهم استهزاءً بهم ارجعوا وراءكم إلى الدنيا حيث يطلب النور هناك بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي فيرجعون وراءهم فلم يجدوا شيئاً.

فضـرب بينهم بسور له باب باطنه الرحمة : أي فضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عال له باب باطنه الذي هو من جهة المؤمنين الرحمة.

وظاهره من قبله العذاب : أي الذي من جهة المنافقين في عرصات القيامة العذاب.

ينادونهم ألم نكن معكم : أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين ألم نكن معكم في الدنيا على الطاعات أي فنصلى كما تصلون ونجاهد كما تجاهدون وننفق كما تنفقون.

قالوا بلـى : أي كنتم معنا على الطاعات.

ولكنكم فتنتم أنفسـكم : أي بالنفاق وهو كفر الباطن وبغض الإسلام والمسلمين.

وتـربصتم : أي الدوائر بالمسلمين أي كنتم تنتظرون متي يهزم المؤمنون فتعلنون عن كفركم وتعودون إلى شرككم.

وغركـم بالله الغـرور : أي وغركم بالإيمان بالله ورسوله حيث زين لكم الكفر وكره إليكم الإيمان الشيطان.

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية : أي مال تفدون به أنفسكم إذ لا مال يومئذ ينفع ولا ولد.

ولا من الذين كفروا : أي ولا فدية تقبل من الذين كفروا.

مأواكم النار هي مولاكم : أي مستقركم ومكان إيوائكم النار وهي أولى بكم لخبث نفوسكم.

وبئـس المصير : أي مصيركم الذي صرتم إليه وهو النار.

معنى الآيـات

قوله تعـالى ﴿يوم ترى[1] المؤمنين والمؤمنـات﴾ هذا الـظرف متعلق بقـولـه ﴿ولهم أجر كريم﴾ في آخر الآية السابقة

(١) الخطاب في قوله: «(ترى) لغير معين إذ هو صالح لكل ذي أهلية للخطاب والرؤية.

أي لهم أجـر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنـات في[1] عرصـات القيامـة نورهم الذي اكتسبوه بإيمانهم وصالح أعمالهم في دار الدنيا ذلك النور يمشى أمامهم يهديهم إلى طريق الجنة، وقد أعطوا كتبهم بأيمانهم. وتقول لهم الملائكة الذين أعدوا لتلقيهم واستقبالهم بشراكم[2] اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار أي تجري الأنهار أنهار الماء واللبن والخمر والعسل من خلال الأشجار والقصـور خالـدين[3] فيها ماكثين أبدا لا يموتـون ولا يخرجـون. قال تعـالى ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ إذ هو نجاة من النـار ودخـول الجنـان في جوار الـرحمن. وقولـه تعـالى ﴿يوم[4] يقـول المنـافقـون والمنافقات﴾ بدل من من قولـه يوم ترى المؤمنين والمؤمنـات،والمنافقون والمنافقات وهم الذين كانوا في الحياة الدنيا يخفون الكفر في أنفسهم ويظهرون الإيمان بألسنتهم والإسلام بجوارحهم يقولون للذين آمنوا انظرونا أي اقبلوا علينا بوجوهكم ذات الأنوار نقتبس[5] من نوركم أي نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الـطريق مثلكم قبل فيقـال لهم استهـزاء بهم ﴿ارجعـوا وراءكم فالتمسـوا نوراً﴾ إشـارة إلى أن هذا النـور يطلب في الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال فيرجعون إلى الوراء وفوراً يضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عال ﴿له باب باطنـه﴾ وهـو يلي المؤمنين فيه الـرحمـة ﴿وظـاهره﴾ وهو يلي المنافقين ﴿من قبله العذاب﴾ فيأخذون في ندائهم ألم نكن معكم على الطاعات أيها المؤمنون فقد كنا نصلى معكم ونجاهد معكم وننفق كما تنفقون فيقول لهم المؤمنون بلى أي كنتم معنا في الدنيا على الطاعات في الـظاهـر ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفـاق وتـربصتم بنـا الدوائر لتعلنوا عن كفركم وتعودوا إلى شرككم، وارْتَبْتُمْ أي شككتم في صحة الإسلام وفي عقائده ومن ذلك البعث الآخر وغرتكم الأماني الكاذبة والأطماع في أن محمداً لن ينتصر وأن دينه لن يظهر، حتى جاء أمر الله بنصر رسوله وإظهار دينه وغركم بالله الغرور أي بالإيمان بالله أي بعد معاجلته لكم بالعذاب والستر عليكم وعدم كشف الستار عنكم وإظهاركم على ما أنتم عليه من الكفر الغرور أي الشيطان إذ هو الذي زين لكم الكفر وذكركم بعفو الله وعدم مؤاخذته لكم.

قال تعالى: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ أي فداء مهما كان ولا من الذين كفروا كذلك

---

(١) وجه عطف المؤمنات على المؤمنين هنا وفي نظائره من القرآن إشارة بل التنبيه إلى أنّ حظوظ النسـاء في الإسلام مسـاوية لحظوظ الرجال إلا فيما خصصن فيه من أحكام قليلة مبينة في الكتاب والسنة.

(٢) التقدير: فقال لهم بُشراكم.

(٣) (خالدين) حال مقدرة أي: حالة كونهم مقدرين الخلود فيها إذ لم يدخلوها بعد.

(٤) هذا بدل من اليوم الأول.

(٥) قال الكلبي: يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون نوراً خاصاً بهم فبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحاً وظلمـة فأطفـأ بذلـك نور المنـافقين فذلك قوله تعالى: (ربنا أتمم لنا نورنا) يقوله المؤمنون خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: (انظرونا نقتبس من نوركم) هذا أحسن توجيه للآية الكريمة.

مأواكم النار أي محل إيوائكم وإقامتكم الدائمة النار هي مولاكم[1] أي من يتولاكم ويضمكم في أحضانه وهي أولى بكم لخبث نفوسكم وعفن أرواحكم من جراء النفاق والكفر، وبئس المصير الذي صرتم إليه إنه النار.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير البعث بذكر أحداثه وما يجرى فيه.

٢ـ تقرير أن الفوز ليس ربح الشاة والبعير ولا الدار ولا البستان في الدنيا وإنما هو الزحزحة عن النار ودخول الجنان يوم القيامة هذا هو الفوز العظيم.

٣ـ من بشائر السعادة لأهل الإيمان قبل دخول الجنة تلقّي الملائكة لهم وإعطاؤهم كتبهم بأيمانهم ووجود نور عال يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يتقدمهم على الصراط إلى الجنة.

٤ـ نور يوم القيامة في وجوه المؤمنين أخذوه من الدنيا وفي الحديث: «بشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[2].

٥ـ بيان صفات المنافقين في الدنيا وهي إبطان الكفر في نفوسهم والتربص بالمؤمنين للانقضاض عليهم متى ضعفوا أو هزموا وأمانيهم في عدم نصرة الإسلام. وشكهم الملازم لهم حتى انهم لم يخرجوا منه إلى أن ماتوا شاكين في صحة الإسلام وما جاء به وأخبر عنه من وعد ووعيد.

۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ

---

(١) المولى: من يتولى غيره، وما دامت النار هي التي تولتهم لتذيقهم ألوان عذابها صح إطلاق المولى عليها مع أن النار تتكلم وتتغيظ فلذا كانت تتولى أهلها فتسقيهم مر العذاب.

(٢) الحديث رواه أبو داود والترمذي وغيرهما والظلم: جمع ظلمة.

ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

ألم يأن للذين آمنوا : أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح .

أن تخشع قلوبهم لذكر الله : أي تلين وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده .

وما نزل من الحق : أي القرآن وما يحويه من وعد ووعيد .

ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل : أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى في الإعراض والغفلة .

فطال عليهم الأمد : أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم .

فقست قلوبهم : أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم فقست لذلك قلوبهم فلم تلن لذكر الله .

وكثير منهم فاسقون : أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة على ترك التذكير والإرشاد ففسق أكثرهم فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه .

اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها : أي بالغيث ينزل بها وكذلك يحيي القلوب بالذكر والتذكير فتلين وتخشع لذكر الله ووعده ووعيده .

قد بينا لكم الآيات لعلكم تعلقون : أي بينا لكم الآيات الدالة على قدرتنا وعلمنا ولطفنا ورحمتنا رجاء أن تعقلوا فتحفظوا أنفسكم مما يرديها ويوبقها .

إن المصدقين والمصدقات : أي المتصدقين بفضول أموالهم والمتصدقات كذلك .

واقرضوا الله قرضاً حسنا : أي وكانت صدقاتهم كالقرض الحسن الذي لا منة معه والنفس طيبة به وراجية من ربها جزاءه .

يضاعف لهم : أي القرض الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة الى ألف ألف .

والذين آمنوا بالله ورسله : أي صدقوا بالله رباً وإلهاً وبرسله هداة ودعاة صادقين .

أولئك هم الصديقون : أي الذين كتبوا عند الله صديقين وهي مرتبة شرف عالية.
والشهـداء عنـد ربهم لهم : أي وشهداء المعارك في سبيل الله عند ربهم أي في الجنة لهم
أجرهم ونورهم : أجرهم العظيم ونورهم التام يوم القيامة.
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا : أي كفروا بالله وتوحيده وكذبوا بالقرآن وبما حواه من الشرائع والأحكام.
أولئك أصحاب الجحيم : أي أولئك البعداء هم أهل النار الذين لا يفارقونها أبداً.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾[1] أي بالله رباً وإلهاً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وبوعد الله ووعيده صدقا وحقا ألم يحن[2] الوقت لهم أن تخشع قلوبهم فتلين وتطمئن إلى ذكر الله وتخشع كذلك ﴿وما نزل من الحق﴾ في الكتاب الكريم فيعرفون المعروف ويأمرون به ويعرفون المنكر وينهون عنه إنها لموعظة إلهية عظيمة وزادها عظمة أن تنزل في أصحاب رسول الله تستبطىء قلوبهم. فكيف بمن بعدهم.

وقوله: ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ أي من قبل البعثة المحمدية وهم اليهود والنصـارى فطال عليهم الأمد وهو الزمان الطويل بينهم وبين أنبيائهم فلم يذكروا ولم يرشدوا فقست قلوبهم من أجل ذلك وأصبح أكثرهم فاسقين عن[3] دين الله خارجين عن شرائعه لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً.

وقوله تعالى ﴿اعلموا﴾ أي أيها المؤمنون المصابون ببعض الغفلة فكثر مزاحهم وضحكهم ﴿أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ يحييها بالغيث فتنبت وتزدهر فكذلك القلوب[4] تموت بترك التذكير والتوجيه والإرشاد وتحيا على التذكير والإرشاد.

وقـوله تعالى: ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ أي وضحناها لكم في هذا الكتاب الكريم لعلكم

---

(١) روى مسلم عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله تعالى بهذه الآية: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . .) إلا أربع سنين قال الخليل: العتاب خطاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة.

(٢) هنا فعلان: أنى يأني مشتق من الإنى وهو اسم جامد بمعنى الوقت وآن يئين مشتق من الأين الذي هو الحين قال الشاعر:

ألما يئن لي أن تجلّى عمـايتي وأقصر عن ليلي بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين أي: بين أنى يأني وبين آن يئين.

(٣) عن مالك قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسـوا قلوبكم، فإن القلب القاسي يبعد من الله ولكنكم لا تعلمون، ولاتنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان: معافىً ومبتلىً، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

(٤) وكذلك القلوب تقسـوا فتليينها بعد قساوتها يكون بذكر الله واالدار الآخرة والتذكير بهما.

تعقلون أي لنعذّكم بذلـك لتعقلواعنّـاما نُخاطبكم به وننصح لكم فيه فاذكروا هذا ولا تنسوه. وراجعوا قلوبكم وتعهدوها بذكر الله والـدا‌ر الآخرة. وقوله تعالى: ﴿إن المصدقين﴾ أي المتصـدقين بفضـول أموالهم في سبيل الله والمصدقات أي والمتصدقات كذلك وأقرضوا الله قرضاً حسناً بما أنفقوه في الجهاد طيبة به نفوسهم لا منة فيه ولا رياء ولا سمعة هؤلاء يضاعف لهم أي ثواب صدقاتهم وإقراضهم ربهم إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف ولهم أجر كريم وهو الجنة والذين آمنوا بالله ورسله فصدقوا بالله رباً وإلهاً وبرسل الله المصطفين هداة إلى الله ودعاة إليه هؤلاء هم الصديقون(١) ففازوا بمرتبة الصديقية والشهداء الذين(٢) استشهدوا في معارك الجهاد هم الآن عند ربهم لهم أجرهم ونورهم أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة. هؤلاء الأصناف الثلاثة مثلهم مثل السابقين وأصحاب اليمين. والذين كفروا أي بالله ورسله وكذبوا بآياتنا أي بآيات ربهم الحـاوية لشـرائعـه وعبـادتـه فلم يعبـدوه بهـا هؤلاء الأدنـون هم أصحـاب الجحيم الـذين يلازمونها وتلازمهم أبداً نعوذ بالله من حالهم.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله وما عنده من نعيم وما لديه من نكال وعذاب.

٢ـ وجوب التذكير للمؤمنين والوعظ والإرشاد والتعليم خشية أن تقسو قلوبهم فيفسقوا كما فسق أهل الكتاب ويكفروا كما كفروا.

٣ـ تقرير حقيقة وهي أن الأرض تحيا بالغيث والقلوب تحيا بالعلم والمواعظ والتذكير بالله.

٤ـ بيان أصناف المؤمنين ورتبهم وهم المتصدقون والمقرضون في سبيل الله أموالهم والمؤمنون بالله ورسله حق الإيمان والصديقون وشهداء الجهاد في سبيل الله جعلنا الله منهم.

ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ

---

(١) الصديق: هو من آمن بالله ورسله ولم يكذب طرفة عين، وممن ذكروا بالفوز بها، أبو بكر الصديق ومؤمن آل فرعون وصاحب يسٓ، وفي الحديث: (ولا يزال المرء يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) فهذا مطلب سهل اللهم حققه لنا.

(٢) اختلف في هل (الشهداء) موصول بما قبله أو مقطوع فإن كان موصولاً فالصدّيقون والشهداء: هم المؤمنون بالله ورسله، وللجميع أجرهم ونورهم ويكون المدح والثناء وعظم الجزاء للجميع وهي بشرى لأمة محمد ﷺ وإن كان مقطوعاً فقد فاز الشهداء بمزية لم تكن لغيرهم، وهذا ما ذهبت إليه في التفسير، وهو ما اختاره ابن جرير.

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

شـرح الكلمـات :

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو : أي ان الحياة الـدنيا أشبـه بالأمور الخيالية قليلة النفع سريعة الزوال.

وزيـنة : أي ما يتزين به المرء من أنواع الزينة والزينة سريعة التغير والزوال.

وتفـاخـر بينكم وتكـاثـر في الأموال والأولاد : أي أنها لا تخرج عن كونها لهواً ولعباً وزينة وتفاخراً وتكاثراً في الأموال والأولاد.

كمثل غيث اعجب الكفار نباته : أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها من الدار الآخرة ونعيمها كمثل مطر أعجب الكفار أي الزراع أعجبهم نباته أي ما نبت به من الزرع.

ثم يهيج فتاره مصفراً : أي ييبس فتراه مصفراً آن أوان حصاده.

ثم يـكون حـطامـا : ثم يتحول بسرعة إلى حطام يابس يتفتت.

الا متـاع الغرور : أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور لا حقيقة لها.

سابقوا إلى مغفرة من ربكم : أي سارعوا بالتوبة مسابقين غيركم لتغفر لكم ذنوبكم وتدخلوا جنة ربكم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : أي الموعود به من المغفرة والجنة.

والله ذو الفضل العظيم : أي فلا يبعد تفضله بذلك الموعود به وإن كان عظيماً.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يزيد في كمالهم وسعادتهم في الحياتين فخاطبهم قائلا: اعلموا أيها[1] المؤمنون الذين استبطانا قلوبهم أي خشوعها إذ الإقبال على الدنيا هو سبب الغفلة عن الآخرة ومتطلباتها من الذكر والعمل الصالح ﴿أنما الحياة الدنيا لعب[2] ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ هذه حقيقتها وهي أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال. فلا تغتروا بها ولا تقبلوا بكلكم عليها أنصح لكم بذلك. فاللهو كاللعب لا يُخلِفان منفعة تعود على اللاهي اللاعب، والزينة سرعان ما تتحول وتتغير وتزول والتفاخر بين المتفـاخـرين مجرد كلام ما وراءه طائل أبداً والتكاثر لا ينتهي الى حد ولا يجمع الا بالشقاء والنصب والتعب ثم يذهب أو يُذهب عنه فلا بقاء له ولا دوام وله تبعات لا ينجو منها صاحبها إلا برحمة من الله وإليكم مثل الحياة الدنيا إنها ﴿كمثل غيث[3]﴾ أي مطر ﴿أعجب الكفار﴾ أي الفلاحين الذين كفروا بذرة بالتربة ﴿نباته﴾ الذي نبت به أي المطر ﴿ثم يهيج فتراه﴾ بعد أيام ﴿مصفراً[4]﴾ ثم يهيج أي ييبس ﴿ثم يكون حطاماً﴾ يتفتت هذه هي الدنيا من بدايتها الى نهايتها المؤلمة أما الآخرة ففيها عذاب شديد لأهل الشرك والمعاصي لا بد لهم منه يفارقونه، ومغفرة من الله ورضوان لأهل التوحيد وصالح الأعمال وما الحياة الدنيا وقد عرَضنا عليكم مثالها فما هي إلا متاع الغرور أي إنها لا حقيقة لها وكل ما فيها من المتع التي يتمتع بها إلا غرور باطل. وعليه فأنصح لكم[5] سابقوا إلى مغفرة من ربكم أي سارعوا بالتوبة مسابقين بعضكم بعضا لتغفر ذنوبكم وتدخلوا جنة ربكم التي عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله أي هُيئت وأحضرت.فهي مُعدة مهيأة. ذلك فضل الله أي المغفرة ودخول الجنة يؤتيه من يشاء ومن سارع الى التوبة فآمن وعمل صالحاً وتخلى عن الشـرك والآثام فهو ممن شاء له فضله ولذلك وفقه للإيمان وصالح الأعمال. والله ذو الفضل

---

(١) في هذه الآية الكريمة تنبيه عظيم إلى علة كل معوّق عن الكمال والإسعاد من أمراض الشح والحرص والغفلة وإيثار الملاذ والجري وراءها ألا وإنها حب الدنيا العاجلة، وفي الأثر: حب العاجلة رأس كل خطيئة.

(٢) اللهو واللعب: كل ما شغل عن ذكر الله تعالى، والإكثار منهما دليل على خسة العقل وضعفه، وصورتهما تُرى من لعب الأطفال وتلهيهم بما يلعبون به من أنواع اللعب، والزينة: مايُتزيّن به من لباس وأثاث ونحوهما والتفاخر والتكاثر تحمل عليهما النفس الضعيفة ويولدهما الغرور وهما من صفات المفتونين بحب الحياة الدنيا.

(٣) جائز أن يكون (كمثل) في موضع خبر، والمبتدأ محذوف تقديره: هي أي الحياة الدنيا (كمثل غيث).

(٤) الإصفرار بعد الهيجان واليبوسة بعد الإصفرار أما الهيجان فهو عبارة عن سرعة بلوغ النبات مستواه كبلوغ الإنسان أشده ثم يأخذ في الإصفرار فيصفر فلذا عبر بـ ثم الدالة على التراخي، وبعد الإصفرار اليبوسة وهي الإفناء والتلاشي.

(٥) بعد أن كشف لهم عن حال الدنيا وأنها سريعة الزوال حثهم على المسابقة بتصحيح الإيمان وتقويته بالعمل الصالح للفوز بالجنة فلله الحمد وله المنة.

العظيم فلا يستبعد منه ذلك المطلوب المرغوب من النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا.

٢ـ الدعوة إلى المسابقة في طلب مغفرة الذنب ودخول الجنة.

٣ـ بيان الجنة وبيان ما يُكسبها وهو الإيمان بالله ورسله ومستلزماته من التوحيد والعمل الصالح.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

شرح الكلمات :

ما أصاب من مصيبة في الأرض : أي بالجدب وذهاب المال.

ولا في أنفسكم : أي بالمرض وفقد الولد.

إلا في كتاب من قبل أن نبرأها : أي في اللوح المحفوظ قبل أن نخلقها.

إن ذلك على الله يسير	: أي سهل ليس بالصعب.
لكيلا تأسوا على ما فاتكم	: أي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أي مما تحبون من الخير.
ولا تفرحوا بما آتاكم	: أي بما أعطاكم فرح البطر أما فرح الشكر فهو مشروع.
والله لا يحب كل مختال فخور	: أي مختال بتكبره بما أعطى، فخور أي به على الناس.
الذين يبخلون	: أي بما وجب عليهم أن يبذلوه.
ويأمرون الناس بالبخل	: أي بمنع ما وجب عليهم عطاؤه.
ومن يتول	: أي عن الإيمان والطاعة وقبول مواعظ ربهم.
فإن الله غني	: أي غني عن سائر خلقه لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره.
حميد	: أي محمود بجلاله وجماله وآلائه ونعمه على عباده.
بالبينات	: أي بالحجج والبراهين القاطعة على صدق دعوتهم.
وأنزلنا معهم الكتاب	: أي وأنزل عليهم الكتب الحاوية للشرائع والأحكام.
والميزان	: أي العدل الذي نزلت الكتب بالأمر به وتقريره.
ليقوم الناس بالقسط	: أي لتقوم حياتهم فيما بينهم على أساس العدل.
فيه بأس شديد	: أي في الحديد بأس شديد والمراد آلات القتال من سيف وغيره.
ومنافع للناس	: أي ينتفع به الناس إذ ما من صنعة الا والحديد آلتها.
وليعلم الله من ينصره ورسله	: أي وأنزلنا الحديد وجعلنا فيه بأساً شديداً ليعلم الله من ينصره في دينه وأوليائه وينصر رسله المبلغين عنه.
بالغيب	: أي وهم لا يشاهدونه بأبصارهم في الدنيا.
إن الله قوى عزيز	: أي لا حاجة إلى نصرة أحد وإنما طَلَبَهَا يَتَعَبَّدُ بها عباده.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في إرشاد المؤمنين وتوجيههم إلى ما يكملهم ويسعدهم فقال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ أي ما أصابكم أيها المؤمنون من مصيبة في الأرض بالجدب والقحط أو الطوفان أو الجوائح تصيب الزرع ﴿ولا في أنفسكم﴾ بالمرض وفقد الولد إلاّ وهي في كتاب أي في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ مكتوبة بكميتها وكيفيتها وزمانها ومكانها ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي وذلك قبل خلق الله تعالىٰ لها

وإيجادها. وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي علمه بها وكتابته لها قبل خلقها وإيجادها في وقتها سهل على الله يسير.

وقوله ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي أعلمناكم بذلك بعد قضائنا وحكمنا به أزلاً من أجل ألا تحزنوا على ما فاتكم مما تحبون في دنياكم من الخير، ولا تفرحوا بما آتاكم[1] فرح الأشر والبطر فإنه مضر أما فرح الشكر فلا بأس به فقد ينعم الله على العبد ليشكره.

وقوله: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾[2] يحذر أولياءه من خصلتين ذميمتين لا تنبغيان للمؤمن وهما الاختيال أي التكبر والفخر على الناس بما أعطاه الله وَحَرَمَهَم. وقوله ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ هذا بيان لمن لا يحبهم الله وهم أهل الكبر والفخر بذكر صفتين قبيحتين لهم وهما البخل الذي هو منع الواجب والأمر بالبخل والدعوة إليه فهم لم يكتفوا ببخلهم فأمروا غيرهم بالبخل الذي هو منع الواجب وعدم بذله والعياذ بالله من هذه القبائح الأربع. وقوله: ﴿ومن يتول﴾ أي[3] عن الإيمان والطاعة وعدم قبول وعظ الله وإرشاده ﴿فإن الله هو الغني﴾ عن سائر خلقه لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره ﴿الحميد﴾ أي محمود بجلاله وجماله وإنعامه على سائر عباده.

وقوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا[4] بالبينات﴾ أي بالحجج القواطع وأنزلنا معهم الكتاب الحاوي للشرائع والأحكام التي يكمل عليها الناس ويسعدون وأنزلنا الميزان وذلك ليقوم الناس بالعدل أي لتقوم حياتهم على أساس العدالة والحق.

وقوله تعالى ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ أي وكما أنزلنا الكتاب للدين والعدل للدنيا أنزلنا الحديد لهما معاً للدين والدنيا فيما فيه من البأس الشديد في الحروب فهو لإقامة الدين بالجهاد ﴿ومنافع للناس﴾ إذْ سائر الصناعات متوقفة عليه فهو للدنيا.

---

(١) إنه لما يبين تعالى لأوليائه المؤمنين علّة الإفساد والشر وهي حب العاجلة أعلمهم تشجيعاً لهم على الزهد فيها والإعراض عنها أنّ ما يصيب أحدهم من فقر، أو مرض أو خوف قد يفضي إلى الموت هو مما كتبه الله تعالى عليهم أزلا وأنه واقع بهم لا محالة فلذا لا داعي إلى الحزن كما أنّ ما يحصل للعبد مما هو خلاف ذلك من المال والولد لاينبغي أن يفرح به وبذلك يتغلب على الدنيا ويفوز بالآخرة.

(٢) وفي إعلام الله تعالى أولياءه بعدم حبّ المختال الفخور دفع لهم إلى الأمام حيث التنزه عن حب العاجلة التي هي المعوق لهم عن الكمال والإسعاد الأخروي.

(٣) في الآية تحذير من الجزع وقلة الصبر في السير إلى الله تعالى بالتخلي عن حب العاجلة.

فقد ذكرهم بأن التولي أي الرجوع بعد الضرب في طريق الآخرة حيث الجوار الكريم مما يسبب تخلي الرب عن العبد، فإنه تعالى غني حميد لا حاجة به إلى طاعة العباد ولا إلى حمدهم.

(٤) كلام مستأنف المراد به أنّ ما كلف به عباده من طاعته بذكره وشكره إنما هو لمجرد الابتلاء وليس لحاجة إليه لأنه الغني الحميد فإنه أرسل الرسل وأنزل الكتب وأوجد أسباب القوة المادية لمجرد الابتلاء، ذلك الابتلاء المترتب عليه الإسعاد والإشقاء فإنه تعالى يسعد بطاعته ويشقى بمعصيته وهذا هو العدل الكريم البر بعباده المؤمنين الرحيم.

وقوله تعالى: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾[1] أي من الحكمة في إنزال الحديد أن يعلم الله من ينصره أي ينصر دينه ورسله بالجهاد معهم والوقوف إلى جانبهم وهم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أي وهم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم وإن عرفوه بقلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿إن الله قوي عزيز﴾ إعلام بأنه لا حاجة به إلى نصرة أحد من خلقه وذلك لقوته الذاتية وعزته التى لا ترام، وإنما كلف عباده بنصرة دينه ورسله وأوليائه تشريفاً لهم وتكريماً وليرفعهم بذلك الى مقام الشهداء.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢ـ بيان الحكمة في معرفة القضاء والقدر والإيمان بهما.

٣ـ حرمة الاختيال والفخر والبخل والأمر بالبخل.

٤ـ بيان إفضال الله وإنعامه على الناس بإرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان وإنزال الحديد بما فيه من منافع للناس وبأس شديد.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

---

(١) هذا العلم: علم ظهور وكشف عما هو معلوم لله تعالى مستور عن عباده لا أنه علم يستجد لله تعالى فإنه قد كتب ذلك في كتاب المقادير وعلمه قبل وجوده، وإنما يظهره في وقته كما كتبه فيعلمه بعد كشفه وإظهاره لتقوم الحجة به على عباده.

شـرح الكلـمات :

ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم	: أي وتالله لقد أرسلنا نوحاً هو الأب الثاني للبشر وإبراهيم هو أبو الأنبياء .
والكتـاب	: أي التوراة والزبور والإنجيل والفرقان .
فمنهم مهتد	: أي من أولئك الذرية أي سالك سبيل الحق والرشاد .
وكثير منهم فاسقـون	: أي عن طاعة الله ورسله ضال في طريقه .
ثم قفينا على آثارهم برسلنا	: أي أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهينا الى عيسى .
وقفينا بعيسى بن مريم	: أي أتبعناهم بعيسى بن مريم لتأخره عنهم في الزمان .
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه	: أي على دينه وهم الحواريون وأتباعهم .
رأفة ورحمـة	: أي ليناً وشفقـة .
ورهبانيـة ابتدعوها	: أي وابتدعوا رهبانية لم يكتبها الله عليهم . وهي اعتزال النساء والانقطاع في الأديرة والصوامع للتعبد .
إلا ابتغاء رضوان الله	: أي إلا طلبا لرضوان الله عز وجل .
فما رعوها حق رعايتها	: أي لم يلتزموا بما نذروه على أنفسهم من الطاعات .
فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم	: أي فأعطينا الذين ثبتوا على إيمانهم وتقواهم أجرهم .
وكثير منهم فاسـقون	لا أجر لهم ولا ثواب إلا العقاب .

معنى الآيـات :

يخبر تعالى أنه كما أرسل رسله وأنزل معهم الكتاب والميزان ارسل كذلك نوحاً وإبراهيم فنوح هو أبوالبشر الثاني[1] وإبراهيم هو أبوالأنبياء من بعده ذكرهما لمزيد شرفهما ، ولما لهما من آثار طيبـة فقـال ﴿ولقـد أرسلنـا نوحـاً وإبـراهيم وجعلنـا في ذريتهمـا النبـوة﴾ أي في أولادهمـا النبـوة والكتـاب فهـود وصـالـح وشعيب وإبـراهيم ولـوط من ذرية نوح وإسمـاعيل وإسحـاق وبـاقي الأنبياء من ذرية ابراهيم وقوله ﴿فمنهم مهتـد وكثير منهم فاسقون﴾[2] أي فمن أولئك الذرية المهدى وأكثرهم فاسقون وقوله ﴿ثم قفينا على آثارهم[3] برسلنا﴾ أي رسولا بعد رسول إلى عيسى بن مريم ، وقفينا بعيسى بن مريم أي أتبعاتهم بعيسى

---

(١) هذا كلام معطوف على سابقه المراد منه تفصيل ما أجمل في قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات . .) الخ وهو من باب عطف الخاص على العام .

(٢) كأكثر قوم هود وقوم صالح وقوم شعيب ، وقوم تبّع وغيرهم والمراد بالفسق هنا : الخروج عن جادة الإيمان والتوحيد ، والوقوع في مضلات الشرك والكفر .

(٣) التقفيه : اتباع الرسول على أثر الآخر مشتق لفظها من القفا .

بن مريم كل ذلك لهداية العباد إلى ما يكملهم ويسعدهم وقوله ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ أي آتينا عيسى بن مريم الإنجيل وجعلنا في[1] قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة والرأفة اللين وأشد الرحمة. وقوله ﴿ورهبانية[2] ابتدعوها﴾ أي ابتدعها الذين اتبعوا عيسى ﴿ما كتبناها عليهم[3]﴾ أي لم يكتبها الله تعالى عليهم لما فيها من التشديد ولكن ما ابتدعوها الا طلباً لرضوان الله ومرضاته فما رعوها حق رعايتها حيث لم يوفوا بما التزموا به من ترك الدنيا والإقبال على الآخرة حيث تركوا النساء ولبسوا الخشن من الثياب وأكلوا الخشن من الطعام ونزلوا الصوامع والأديرة.

ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك، وكان بينهم جماعة رفضُوا ذلك التحريف للدين ولم يقبلوه ففروا بدينهم، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية، وعاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا الى الصوامع والأديرة، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدّل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله. وهو مادل عليه قول الله تعالى: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وهم الأولون المؤمنون الذين فروا من الكفر والتعذيب وعبدوا الله تعالى بما شرع، وقوله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين أتوا من بعدهم إلى يومنا هذا إذ هم يعبدون الله بدين محرف باطل ولم يلتزموا بالرهبنة الصادقة بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان منة الله على عباده بإرسال الرسل.

٢ـ بيان سنة الله في الناس وهي أنه إذا أرسل الرسل لهداية الناس يهتدى بعض ويضل بعض فيفسق.

---

(١) وذلك لأنّ عيسى عليه السلام بعث لتهذيب نفوس بني اسرائيل واقتلاع جذور القسوة من قلوبهم تلك القسوة التى أثمرها حب الدنيا والإقبال على الشهوات والملاذ الفانية.

(٢) الرهبانية: نسبة إلى الراهب وهو الخائف من الله تعالى، والأصل أن يقال الراهبية، فزيدت فيها النون كما زيدت في شعراني ولحياني ورباني وكذا نصراني على غير قياس.

(٣) جملة: (ما كتبناها عليهم) مبينة لجملة (ابتدعوها).

٣- ثناء الله على عيسى بن مريم واتباعه بحق من الحواريين وغيرهم إلى أن غيرت الملوك دين المسيح وضل الناس وأصبحوا فاسقين عن دين الله تعالى.
٤- تحريم البدع والابتداع ولا رهبانية في الإسلام ولكن يعبد الله بما شرع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

شـرح الكلمـات :

يا أيها الذين آمنوا : أي بعيسى بن مريم وموسى من قبله.

اتقوا الله وآمنوا برسوله : أي خافوا عقاب الله وآمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه.

يؤتكـم كفلـين : يعـطكم الله نصيبين من الأجـر مقـابل إيمانكم بنبيكم وبمحمد ﷺ.

ويجعل لكم نوراً تمشون فيه : أي في الـدنيا إذ تعيشـون على هداية الله وفي الآخرة تمشون به على الصراط.

لئلا يعلم أهل الكتاب : أي لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله. واللام في لئلا مزيدة لتقوية الكلام.

معنى الآيـتين :

(١) هذا نداء الله لأهل الكتاب بعد أن ذكر نبذة عن رسلهم وأتباعهم نادى الموجودين منهم بعنوان الإيمان أي يا من آمنتم بالرسل السابقين حسب ادعائكم اتقوا الله فلا تفرقوا بين رسل الله وآمنوا

---

(١) استعمل الإيمان هنا استعمالاً لقبياً إذ المراد بالذين آمنوا: اليهود والنصارى إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه ورسله في الجملة.

برسـولـه محمـد ﷺ يؤتكم أي يعـطكم كفلين أي حظين ونصيبين من رحمتـه ومثوبتـه ويجعـل لكم نوراً تمشون به في الدنيا وهو الهداية الإسلامية إذ الإسلام صراط مستقيم صاحبه لا يضل ولا يشقى وتمشـون به فى الآخرة على الصـراط إلى دار السـلام الجنة، ويغفر لكم ذنوبكم الماضية والحاضرة والله غفور رحيم.[1] وذلك ليعلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في الإسلام أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله أي لا يقدرون على الحصول على شيء من[2] فضل الله، وأن الفضـل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هداية الآيتيـن

من هداية الآيتين :

١ـ أعظم نصيحة تقدم لأهل الكتاب لو أخذوا بها تضمنها نداء الله لهم وما وعدهم به في هذه الآية الكريمة.

٢ـ فضل الإيمان والتقوى إذ هما سبيل الولاية والكرامة في الدنيا والآخرة.

٣ـ إبطال مزاعم أهل الكتاب في احتكار الجنة لهم، وإعلامهم بأنهم محرومون منها ما لم يؤمنوا برسول الله ويتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيـه.

---

(١) هذا بناء على أن (لا) زائدة في قوله: (لئلا يعلم أهل الكتاب) إذ الأصل لأن يعلم فزيدت اللام لتوكيد الكلام فصارت (لئلا يعلم) أي: لأن يعلم.

(٢) أي: إلا باذن الله إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة في شعب اسرائيل فلذا جحدوا نبوة ورسالة محمد ﷺ وكفروا بهما فناداهم تعالى بعنوان الإيمان الذي يدعونه وأمرهم بتقواه بترك الكذب والاحتيال وأمرهم بالإيمان برسوله وواعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا، وكان هذا إعلاماً منه تعالى أن أهل الكتاب لا يقدرون على حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم فقد نبأ وأرسل من بني عمهم محمداً ﷺ وهم كارهون منكرون مكذبون، وهم بين خيار بين إما الإيمان بمحمد ﷺ والفوز بالجنة والنجاة من النار وإما الإصرار على إنكار رسالته والكفر به مع الخسران في الحياتين ولا يهلك على الله إلا هالك.